الكنيسة جسد المسيح

في تعليم القديس كيرلس الكبير



دار مجلة مرقس

كتـاب: الكنيسـة جسـد المسـيح في تعليـم القديـس كـيرلس الكبـير

ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار.

الناشر: دار مجلة مرقس.

الطبعة الأُولى: ١٩٩٣

مطبعـة ديـر القديـس أنبـا مقـار - وادي النطـرون.

ص. ب: ٢٧٨٠ - القـــاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/١٠٤٥٦

هذا المقال مـترجم عـن:

Dogme et Spiritualité
Chez Saint Cyrille D'Alexandrie
par
Hubert du Manoire de Juaye, S.J.
pages 287-325.

مراجعة دير أنبـا مقـار

(نُشرت في مجلـة مرقـس علـى ثـلاث حلقـات:

شهر ديسمبر ١٩٧٦، يناير، مارس ١٩٧٧)

المحتويات

- ١ -

الكنيسة جسد المسيح

[الكنيسة تُدعى جسد المسيح، ونحن أعضاء هــذا الجســد]:

هـذه الصيغـة الـتي نقرأهـا للقديـس كـيرلس في تفسـيره لإنجيــل القديــس يوحنـا[١] تصلـح أن تكـون شـعاراً لدراسـة ماهيـة الكنيسـة عنـد القديـس كـيرلس الإسـكندري الـتي نقـوم بعرضهـا في الصفحـات التاليـة، ذلـك لأنهـا توضـح تمامـاً الفكـرة السـائدة لمفهـوم الكنيسـة. **ومـع ذلـك فهـي لا تكفـي للتعبـير تمامـاً عمَّـا يحويـه فكـر القديـس كـيرلس الكبـير مــن غِنَــى واتجاهـات كثيرة، حينمـا يحـاول وصــف «الوحـدة الروحيـة»[٢] الـتي يجب أن تتحقـق بـين البشـر، اقتـداءً بتلـك الوحـدة القائمـة بـين الله الآب والابـن في الـروح القـدس**، الـتي أسـهب القديـس كـيرلس الكبـير في شـرحها في كافـة كتاباتـه.

وهـو يسـتخدم في ذلـك العديـد مــن المقارنـات الأخـرى عــن الهيكـل والمظلـة الروحيــة والمدينــة المبنيـة بحجـارة حيـة، وعــن المملكـة والأسـرة والزواج وعــن الحقـل والقطيـع.

يسـتخدم القديـس كـيرلس بكـثرة الاسـتعارات والرمـوز مُفسِّـراً وموضحـاً ومُحلـلاً. وهـو إذ يعلـم تمامـاً ومُسْـبقاً أنـه مـن غـير المسـتطاع

التوصُّل إلى الإدراك الكامل للسر، إلاَّ أنه يصمِّم في حماسه الشديد على استيعاب هذه العطية المعلنة من السماء، فيبدأ يحيط بهذه الحقيقة ويركِّز حولها بعديد من الصور.

وتهدف كل مقارنة يستخدمها القديس كيرلس الكبير إلى إنارة وجه خاص من أوجه «سر الجسد»، سر الوحدة القائمة في الكثرة، وسر التطابق والتمركز في التنوع. وهو لا يتقيد بتشكيل نوع من التدرج، كما أنه لا يلتزم دائماً بتنبيه قارئيه أو مستمعيه أنه ينتقل من التطبيق إلى الحقيقة المطلقة.

فنرى أن القديس كيرلس الكبير يستخدم هذه الصورة أو تلك وفقاً للهدف الذي يبغي الوصول إليه، فهو يمزجها معاً أو يضع الواحدة فوق الأخرى، كما يقوم العازف بترتيب الإيقاعات الموسيقية المختلفة. وهو يفعل ذلك لإنارة الأفكار، وللحصول على العقيدة الروحية المطلوب إبرازها، ولتوضيح الدروس النسكية والروحية الخالصة التي يريد أن يقدمها للنفوس.

واستخدام تعبير «الجسد الحي» أعطى للقديس كيرلس صورة واقعية وصيغة حية تفوق كثيراً في كمالها الصور والصيغ الأخرى التي تُستخدم بشأن الوحدة الروحية، وبشأن الاتحاد بين المسيح والكنيسة، الذي يدعوه القديس كيرلس الكبير μυστηριον Χριστου «سر المسيح»[٣] في كتابه: «العبادة بالروح والحق»، مُقتدياً بكاتب الرسالة إلى أهل كولوسي.

علماً بأن القديس كيرلس الكبير لم يستخدم كلمة «جسد المسيح

الســـري (الميستيكي)» مثل بقية القديسين، بل كان يستخدم التعبير البسيط «الجسد الحي»، وكانت هذه الصورة تمتاز على جميع الصور الأخرى المأخوذة من العالم غير العضوي أو من العالم العضوي غير البشري، **لأن تعبير «الجسد» عن الكنيسة يشير إلى شيء يمسُّنا عن قرب أكثر من غيره. كما أن هذه الصورة تساعدنا أيضاً وبطريقة أفضل على فهم امتداد الحياة الإلهية في البشرية، وعلى فهم كيفية رفع الجسد إلى مستوى الروح عن طريق الروح القدس.**

فبحسب تعبير القديس كيرلس، فإن حياة الثالوث الأقدس ذاته تُعطَى لنا بواسطة الروح القدس. وهذا الدور الذي يقوم به الروح القدس باعتبار أنه مبدأ الوحدة والتمايز الذي تتم به الوحدة العضوية للبشرية على مستوى الروح، يُعتبر من المميزات شديدة الوضوح لعقيدة القديس كيرلس الكبير الخاصة بالجسد الواحد.

ويضيف القديس كيرلس الكبير صفة أخرى تميز هذه العقيدة، وهي أنها تتحرك في ارتباط وثيق بين مفهوم التجسُّد والإفخارستيا: أي «البركة السرية»(*)، وذلك لأن بشرية المسيح أصبحت مُحيية بفضل اتحادها «**بالحياة الأبدية**». **فالجسد «الشخصي»** للمسيح الذي نتحد به عن طريق الإفخارستيا (أي البركة السرية)، إنما يعمل فينا عملاً مشابهاً لما يعمله الكلمة «اللوغس» في جسده المتحد به.

وهكذا يمكننا (من كتابات القديس كيرلس الكبير) أن نميز ثلاثة

(*) سيبين الكاتب فيما بعد أن عبارة «البركة "الأولوجية" السرية» هي التي كانت شائعة في الإسكندرية في القرن الخامس للإشارة إلى الإفخارستيا (انظر حاشية رقم ٨٤).

معان للجسد الحي:

أولاً: جسد المسيح الشخصي،

ثانياً: جسد المسيح الإفخارستي،

وأخيراً: جسد المسيح الجماعي الذي هو الكنيسة.

(وطبعاً هو هو جسد المسيح الواحد في هذه المعاني أو الصور الثلاث).

ويجد القارىء في هذا العرض تجميعاً جديداً وتحليلاً جديداً للنصوص ذات الأهمية العظمى.

فمن المعروف أن القديس كيرلس الكبير لم يكتب بحثاً عن الكنيسة، كما كتب عن «الثالوث الأقدس» وعن «التجسُّد»، إلاَّ أن تعاليمه بخصوص الكنيسة على المستويين: المستوى الروحي العام، أي الكنيسة كجسد عضوي حي organisme، والمستوى التنظيمي الخاص، أي الكنيسة كمنظمة organisation تحتل مكانة هامة في كتاباته.

وقد ركَّزنا بحثنا على هاتين الناحيتين، وقد بدا لنا أنه من وجهتي نظر علم اللاهوت النظري وعلم اللاهوت التاريخي هذا العمل يستطيع أن يقدِّم فائدة حقيقية، وقد يكون بمثابة مساهمة مفيدة للدراسات التي تمس مسألة الوحدة.



– ٢ –

الكنيسة في قوانين الإيمان

يجب أن نذكر، بادىء ذي بدء، أنه لم يكن من الممكن قط أن يغيب عن فكر القديس كيرلس تلك العلاقة القائمة بين «سر الكنيسة» **وأسرار الإيمان الأخرى**. ويصعب على الباحث أن يحدد الألفاظ الدقيقة لقانون الإيمان الذي اعتاد القديس كيرلس أن يفسره في عظاته. وحتى نتبين – ولو بطريقة تقريبية – الصيغ المستخدمة في ذلك العصر، علينا أن نلاحظ أن «قانون الإيمان الرسولي» كان يذكر «الكنيسة الجامعة المقدَّسة». أمَّا قانون القديس إبيفانيوس الذي يرجع إلى القرن الرابع، فقد كان يُبرز وحدة الكنيسة وجامعيتها ورسوليتها: [نؤمن بكنيسة واحدة جامعة رسولية].

وكان من المعتاد في الإسكندرية كما في الجماعات المسيحية الأخرى، أن يُشرَح قانون الإيمان للموعوظين وحديثي الإيمان. ففي يوم العماد كان الأسقف يفسِّر قانون الإيمان في عظة يلقيها على الشعب. ونحن نعلم جيداً أن القديس كيرلس لم يقصِّر في القيام بهذا الواجب التقليدي.

ويحتل قانون إيمان نيقية في المجادلة النسطورية مركزاً هاماً، حيث كانوا دائماً يلجأون إليه لكي يحكموا ما إذا كان تعليم ما أرثوذكسياً

أو هرطوقياً. ولا يتضمن قانون نيقية فقرة خاصة عن الكنيسة، إلاّ أنه ينتهي بحرمان قضت به «الكنيسة الجامعة الرسولية»(٤) بقوله: [هذا ما تحرم به الكنيسة الجامعة الرسولية].

وهاتان الصفتان «الكنيسة الجامعة والرسولية» هما اللتان نقرأهما في الخطاب الثالث للقديس كيرلس إلى نسطور. فبعد أن طالب المجمع أسقف القسطنطينية بالاعتقاد بما يعتقد به أساقفة الشرق والغرب وبتعليم ما يُعلّمون به، يقدّم القديس كيرلس قانون الإيمان بالعبارة التالية:

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة والرسولية، وهو الإيمان الذي يعترف به بالإجماع جميع أساقفة الشرق والغرب الأرثوذكسيين](٥).

وأخيراً نجد أيضاً إقرار الإيمان لـ «كاريسيوس» Charisius والذي أيّده آباء مجمع أفسس، وهو يتضمن فقرة عن الكنيسة تأتي بعد فقرة عن الروح القدس «المساوي للآب والابن في الجوهر» وتسبق فقرتين عن القيامة من الأموات والحياة الأبدية(٦):

[وأومن أيضاً بروح الحق البارقليط، الواحد مع الآب والابن في الجوهر وبكنيسة مقدَّسة جامعة، وبالحياة الأبدية].

ولم يكن قط من محض المصادفة أن تتبع هذه الفقرة عن الكنيسة «المقدسة الجامعة» الفقرة عن الروح القدس. ففي فكر القديس كيرلس عن التعليم التقليدي الذي كان سائداً في ذلك العصر، **تظهر الكنيسة باعتبارها اتحاد البشرية بالله، وباعتبارها امتداداً للتجسُّد الخلاصي، وباعتبارها شركة في الروح القدس:**

[... فابن الله الوحيد الذي أظهر لعيوننا نفس جوهر الآب والذي
يحوي في طبيعته الآب بأكمله.
صار جسداً بحسب قول الكتاب
وهكذا احتوى طبيعتنا،
بواسطة اتحاده بجسم من هذه الأرض اتحاداً لا يمكن وصفه ولا التعبير
عنه.
وهكذا **قد صار هذا الإله الحق** بكل حقيقة **إنساناً (كاملاً)**، سماوياً،
وليس بمجرد إنسان حامل لله كما يقول البعض الذين لا يفهمون
بالتدقيق عمق هذا السر.
فقد كان هو نفسه **في شخصه الواحد إلهاً وإنساناً**. وبهذه الوسيلة
كان يوحِّد في ذاته طبيعتين متباعدتين جداً الواحدة عن الأخرى،
وكان يُصيِّر الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية،
فقد انحدرت شركة الروح القدس بالفعل إلينا،
والروح أيضاً سكن فينا،
وقد بدأت هذه السُكنى في المسيح وتحققت فيه أولاً بصفته البكر
(بكر البشرية الجديدة).
لأنه لمَّا صار مُشابهاً لنا، أي لمَّا صار إنساناً، فقد مُسح وقُدِّس (في
الجسد من أجلنا)، مع أنه من جهة طبيعته الإلهية - حيث أنه في
الآب - فهو نفسه الذي يُقدِّس بروحه الخاص هيكل جسده.
(وليس ذلك فقط)، بل والكون كله المخلوق منه، على قدر ما أن
كل شيء ينبغي أن يتقدَّس به.
فالسر الذي حدث في المسيح هو بداية ووسيلة اشتراكنا في
الروح واتحادنا بالله][٧].

- ٣ -

الوحدة في الثالوث الأقدس

«التجسُّد» - «الكنيسة»

تقع وحدة التجسُّد بين وحدة الثالوث الأقدس ووحدة الكنيسة.

عندما يتكلَّم القديس كيرلس عن سر الثالوث الإلهي، فهو يبرز دائماً وحدته. لا يوجد إلاَّ لاهوت واحد في الثالوث(٨)، لاهوت واحد للآب وللابن وللروح القدس(٩)، طبيعة واحدة في ثلاثة أقانيم(١٠).

هذه الوحدة بذاتها القائمة بين الآب والابن هي التي يجب على الكنيسة تحقيقها في حياتها هنا على الأرض، فهي وحدة حياة، وحدة شاملة ولكنها مع ذلك لا تنفي التمايز بين الأشخاص(١١).

ومن المهم أن نلاحظ في بادىء الأمر أن الثالوث - بصفته هذه - هو الذي خلق الإنسان، وأن الإنسان قد خُلق «على صورة الثالوث»، وذلك لأن الثالوث نفسه هو الذي أصدر هذا الأمر الإلهي «نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا»(١٢). ويذهب القديس كيرلس إلى أبعد من ذلك، فهو يجترئ أحياناً في سبيل أن يطبع بعمق أكثر في ذهن قارئيه وحدانية الآب والابن في الجوهر، يجترئ بأن يقيم موازنة بين وحدة طبيعة الأقانيم الإلهية فيما بينها ووحدة الطبيعة الجديدة التي تجمع

البشر فيما بينهم.

وعلى كلٍّ، فهو يرى أن وحدة طبيعة الأقانيم الإلهية تفوق الوحدة القائمة بين البشر – بما لا يُقاس – (هذه الوحدة الطبيعية بين البشر ظلت متعطلة حتى تم التجسُّد).

فالتجسُّد في الواقع هو الذي يشكل مرحلة انتقال بين وحدة الثالوث الإلهي والوحدة الفائقة التي تتحقق في داخل البشرية، في الكنيسة، وبالكنيسة: «كما أرسلني الآب الحيُّ **وأنا حيٌّ بالآب**، فمن يأكلني **يحيا بي**.» (يو ٦:٥٧)

ولكن ما هي صفات هذه الوحدة – الحية – الفائقة؟ وكيف يجب أن نفهم هذه الفقرة من إنجيل القديس يوحنا (يو١٧:٢٢): «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»؟

إن القديس كيرلس، بسبب اهتمامه الشديد بأن يجعل عقيدة الثالوث تؤثر روحياً في النفوس، كان يركِّز على الحب المتبادَل بين الآب والابن، ويستنبط منه بالنسبة للبشر واجب المحبة[١٣].

لكن إذا دققنا في قراءتنا لكتاباته، نجده لا يخلط قط بين ما نسميه «بالمستوى الواقعي» وبين «المستوى الإرادي» في الوحدة[*]. فهو يرى أن العلاقات بين الأقانيم (مثل البنوة والانبثاق) ليست بعمليات إرادية بل طبيعية. فالوحدة بين الأقانيم الإلهية هي وحدة «طبيعية» قبل كل

(*) على القارئ الذي يريد أن يعرف الفرق بين هذه المصطلحات أن يرجع إلى قول القديس كيرلس في هذه المقالة (في تفسير إنجيل يوحنا ١٥:١) حيث سيجد القديس يهاجم بشدة الذين يقولون أن وحدتنا مع المسيح هي مجرد وحدة أدبية أخلاقية إرادية وليست وحدة كيانية «طبيعية» في جسد واحد.

شيء. وبنفس اللفظ «وحدة طبيعية» يشير القديس كيرلس إلى ما يتم في الإنسان المسيحي حينما يتناول من جسد المسيح.

وسنرى من خلال هذه الدراسة أن القديس كيرلس يستخدم كلمة φυσις = "الطبيعة"، φυσικη = "طبيعي"، في حالات أخرى من الاتحاد.

وهو، إذ تحدوه رغبة ملحة في إنارة الأذهان بالنور السري المنبثق من الإيمان ومن صيغته العقائدية، ورغبة منه في إثارة التقوى والمحبة في النفوس الموكَلَة إليه، ينتقل دائماً (وأحياناً كثيرة دون أن يلفت النظر إلى ذلك) من المستوى «الطبيعي» الكياني الواقعي إلى المستوى الأخلاقي الإرادي الأدبي. وكانت مسئوليته الرعوية تدعوه بل تُلزمه بذلك. ولم يكن يلتزم دائماً بأن يشرح في كل مناسبة لمستمعيه – وكثيراً ما كان هؤلاء قليلي الثقافة وغير مؤهَّلين لمثل هذه الاعتبارات النظرية – على أية ركيزة صلبة يؤسِّس تعليمه الأخلاقي؟

ولهذه الملاحظة أهميتها. فهي تبدد مقدماً كل لَبْسٍ.

ولكن لن نطيل البحث هنا عن العلاقة التي يراها القديس كيرلس بين الطبيعي والأخلاقي. ولن نطيل أيضاً في تحليل النصوص التي يمكن أن نلمح فيها العلاقة بين إرسالية الابن والروح القدس وبين عمليات الانبثاق والبنوة الأزلية ثم بين إرسالية الابن والروح القدس وبين سر التجسُّد الخلاصي(١٤).

ونود هنا على الأقل أن نشير بإيجاز إلى الرباط الوثيق الذي يربط الكنيسة بالثالوث الأقدس، وذلك بواسطة التجسُّد الإلهي:

لقد خُلق الإنسان ولا سيما روح الإنسان – وذلك بحسب فكر القديس كيرلس – على صورة الله وشبهه. ولكن الإنسان الأول أفسد هذا التشابه(١٥). وقد دبَّر الله – برحمته اللانهائية – أن يعيد مخلوقه إلى حالته الأُولى(١٦). وإذ علم الله بسبق معرفته سقوط آدم، دبَّر منذ الأزل أن ينقذه ويخلِّصه(١٧). وخطة التجديد هذه النابعة فقط من الصلاح الإلهي(١٨) والمعلَنة مسبقاً من الأنبياء(١٩)، والمحقَّقة في الواقع عندما أدرك العالم بؤسه وعجزه، كانت تتضمن التجسُّد الإلهي وموت ابن الله وقيامته(٢٠).

ولم يكن موت رجل عادي ولا حتى موت الرسل(٢١) ليكفي(٢٢) من أجل غفران الخطية(٢٣) ومصالحة العالم مع الله(٢٤)، ولكن بواسطة «التجسُّد الخلاصي» استطاعت البشرية أن تستعيد حالتها الأولى واقتناء الروح القدس.

ولا يكفي أن نقول «استعادة الحالة الأُولى»، ذلك لأن اللاهوت – في سر التجسُّد – يتحد بالطبيعة البشرية اتحاداً أكثر وثوقاً مما حدث في خلق الإنسان الأول وتقديسه. فآدم الأول قَبِلَ الروح القدس، ولكنه كان يمكن أن يفقده بسبب عدم استقراره، وقد فقده بالفعل وأفقده للطبيعة بأسرها. أمَّا المسيح المخلِّص، فبعكس ذلك تماماً – فقد اتحد بطبيعتنا بثبات وبدون تغيير – اتحاداً كلياً ومطلقاً – وحصل لنا على الروح القدس كعطية ثابتة. وليس هذا فقط: لأنه إذا بحثنا بدقة النصوص التي تتكلَّم عن حالة آدم الأصلية وعن التجديد الذي تمَّ بحسب تدبير العهد الجديد، فسنلاحظ أنه إذا كان آدم الأول قد نال مزايا إلهية عظيمة تفوق الطبيعة مثل: عدم الفساد، والسيطرة على

الشهوات، والمشاركة في الطبيعة الإلهية بالروح القدس، إلاّ أنه لم يكن له هذه القرابة الجذرية συγγενεια مع الله. وباعتباره مخلوقاً، ورغم مشاركته في الطبيعة الإلهية، فقد كان يوجد على بُعد لانهائي من الخالق، ولكن لم يحدث الاتصال السري والتقارب الكامل إلاّ بالتجسُّد الإلهي. ولم يذكر القديس كيرلس في أيٍّ من كتاباته أن آدم الأول نال روح التبني. فهو يرى أن روح التبني أُعطي لنا كامتياز للتدبير الجديد بفعل توسُّط المسيح طبيعياً[٢٥].

فالمسيح، الكلمة المتجسِّد، هو آدم الثاني، هو أصل ومبدأ البشرية المولودة ثانية[٢٦]، وهو الوسيط بين الله والناس[٢٧]، منبع كل قداسة وكل حياة فائقة للطبيعة[٢٨].

والمسيح – قبل أن يصعد ثانية إلى السماء – أسَّس «الكنيسة» لدوام عمله الخلاصي هنا على الأرض، وحتى نهاية الأزمنة: إن المسيح هو حجر الزاوية في بناء الكنيسة[٢٩]. لقد توارى عن أنظارنا يوم صعوده، ولكنه بقي في وسطنا في الكنيسة.

والكنيسة إذ يوجد فيها المسيح والروح القدس، وإذ يعملان فيها، فقد صارت من بعد الصعود هي بدورها منبع جميع النِعَم[٣٠]. وهي المنبع الوحيد، بحيث أنه يجب أن ندخلها، وندخلها بحرية، حتى نجد حلاً للمشكلة الرهيبة، مشكلة خلاصنا[٣١].

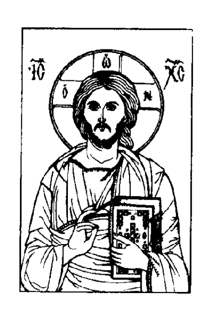
قد صار، إذاً، من الممكن من بعد الآن بواسطة «التجسُّد الخلاصي» والكنيسة، أن تتحقق الوحدة بين البشرية واللاهوت، وبالتالي الوحدة الفائقة التي صارت تربط البشر بعضهم بالبعض في

المسيح. وهي وحدة تفوق تلك التي كانوا يتمتعون بها في آدم الأول، نظراً لأن ابن الله هو بنفسه الذي أتى «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (يو ١١:٥٢)

وهذه الوحدة السرية mystique التي يتمتع بها جميع المؤمنين فيما بينهم في الكنيسة مع الروح القدس والكلمة المتجسِّد هي من الموضوعات التي يلفت القديس كيرلس النظر إليها باستمرار(٣٢). فبفضل بشرية المسيح، قد صار البشر أولاداً لله وهياكل للروح القدس بشكل وبمعنى أكثر دقة مما كانوا عليه في آدم الأول:

[فنحن قد صرنا أبناء الله فيه، وفيه وحده، بحسب الطبيعة بطريقة ما، (كممثِّل عام للبشرية أمام الله). ثم نحن أبناء الله باشتراكنا فيما له، بالنعمة، في الروح القدس؛

فكما أن صفة «**الابن الوحيد**» (**المونوجينيس**) **قد صارت لناسوت المسيح** لأنه متحد بالكلمة بحسب تدبير الخلاص، هكذا قد صار للكلمة أن يكون «بِكْراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨:٢٩) لأنه اتحد بالجسد](٣٣).



– ٤ –

الوحدة الروحية

بدون أن أستعرض ما يخص مفهوم بُنوَّتنا لله وأُخوَّتنا للمسيح عند القديس كيرلس – هذ المفهوم الذي كان من قبل موضع دراسات عميقة، أود أن أحلل هنا الأسلوب الأدبي الذي يستخدمه القديس كيرلس حينما يشرح ما هي «الوحدة الروحية» وكيف تتحقق.

يرى القديس كيرلس أن أضمن وسيلة لكي يشرح لقارئيه الوحدة الطبيعية والوحدة الأدبية (الأخلاقية) اللتين تربطان المسيحيين بعضهم مع البعض، وليشرح معنى كلمات المسيح «ليكون الجميع واحداً» (يو ١٧ : ٢١)؛ إنما هي أن يكتشف في كل شيء رموزاً للحقائق الروحية، ويستخدم المقارنات المأخوذة من الحياة الوجدانية، وهي أكثرها سمواً، كما يستخدم أيضاً بالأكثر تلك المأخوذة من الحياة العادية اليومية بكل تفاصيلها المتواضعة.

فالبشر واحد بجوهرهم. وهم كذلك لأنهم منتسبون في آدم إلى حالة وحدة الطبيعة. وهم واحد في المسيح الذي اتحد بهم طبيعياً بواسطة جسده في التجسُّد وفي الإفخارستيا، بما يفوق الطبيعة، وينبغي أن يكونوا واحداً بالاعتراف بالإيمان الواحد وبشركة الحب الواحد وبتوافق الأفكار والقلوب في الروح القدس.

وهكـذا يجـب أن يؤيـدوا تـأييداً أدبيـاً واعيـاً حـراً تلـك الوحـدة «الطبيعيـة» الفائقـة الـتي أسسـها المسـيح بتجسـده وبإفخاريسـتيته، بحيـث أن الاتحـاد الـذي يجـب أن يقـوم بينهـم، يكـون صـورة ومثيـلاً لوحـدة الآب والابـن في الثـالوث الكلـي القداسـة والواحـد في الجوهـر.

ولا يملُّ القديـس كـيرلس مـن أن يكـرر مـا قالـه الرسـول بـأن المسيح لا يمكـن أن ينقسـم (١ كـو ١:١٣)، وأن الذيـن يقبلونـه في الخـبز يصـيرون جسـداً واحـداً (١ كـو ١٠:١٧)، وأن هـذا الجسـد غـير قـابل للانقسـام. كمـا يقـول القديـس كـيرلس إن المسـيح هـو الـرأس وأن الكنيسـة هـي الجسد المكون من أعضـاء وأنـه يجب بنـاء جسـد المسيح، وأن جميع الأمـم مدعـوون للمشـاركة في الموعـد في المسـيح (أف٣:٥و٦؛ ٤:١٤-١٦):

[وإذا كنَّا جميعنا شركاء في جسد واحد بعضنا مـع البعض **في المسيح** وليس فقط بعضنا مع البعض، بل وأيضاً شـركاء في جسـد واحـد مـع ذاك الذي يأتي إلينا بجسده، فكيف لا نكون جميعنا واحداً بعضنا ببعض وفي المسيح؟ فالمسيح في الواقـع هـو ربـاط الوحـدة، لأنـه هـو هـو إلـه وإنسان واحد]. (ب.ج ٧٤:٥٦٠)

وحول هذا النص المأخوذ من تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١، نستطيع أن نجمع نصوصاً عديدة أخرى، كثيراً ما نجد فيها بوضوح أكثر وصيـة الوحـدة وضرورة التأييد الأدبي لوحدتنا الطبيعية في المسيح:

[إن المسيح غـير منقسم بأيـة صـورة مـن الصـور، لكنـه يبقـى واحـداً وكـاملاً في الجميـع. وهـو سـلامنا لأنـه يوحدنـا بعضنـا مـع البعـض في الوفـاق كمـا يوحدنـا أيضـاً مـع الله بواسـطة نفسـه في الـروح القـدس]. (عـن العبـادة بـالروح والحـق ١٥ ب.ج ٦٨:٩٧٣)

[ونحن إذ نقبل جميعاً في ذواتنا الروح الواحد بعينه، أي الروح القدس، نصير بذلك ممتزجين جميعاً بعضنا بالبعض ومع الله. ورغم أننا متميزون بعضنا عن البعض، وأن روح الآب والابن يسكن في كلٍّ منّا، فإن هذا الروحِ هو رغم ذلك واحد وغير قابل للانقسام. فهو يجمع، إذاً، بذاته في الوحدة، الأرواح المتعددة والمتميزة، ويجعلها بطريقة ما روحاً واحداً في ذاته.

وكما أن نعمة الجسد المقدس تجعل الذين يتناولون منه شركاء في جسد واحد بعضهم مع البعض، فأنا أرى أنه بنفس الطريقة الروح الواحد الذي يحل في الجميع يقود الجميع إلى الوحدة الروحية.

لذلك يقول القديس بولس الرسول: «محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، اجتهدوا أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. وكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً كما دُعيتم في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، آب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل.» (أف ٤:٢-٦)

وبالفعل، إذا كان روح الله الواحد يسكن فينا جميعاً، فإن الآب الواحد الذي للجميع سيكون هو إلهاً في داخلنا، وبذلك سيقود الذين يشتركون في الروح الواحد إلى الوحدة فيما بينهم، وإلى الوحدة معه بواسطة ابنه.]

(تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١ ب.ج ٧٤:٥٦١)

[إن قيل إنه ينبغي أن نكون متعلقين روحياً بالمسيح بمشاعر المحبة

الكاملة وبالإيمان المستقيم غير المتزعزع وبمحبتنا للفضيلة وبصدق معتقداتنا، فهذا لا يتعارض مع عقيدتنا، بل إننا نحن أنفسنا ننادي بأن هذا جميعه حق وواجب.

أمَّا إن قيل أنه ليس لنا معه أي ارتباط بحسب الجسد، فإننا سنبين أن هذا يتعارض مع الكتاب المقدَّس ... فليقولوا لنا حينئذ ماذا يكون سبب وجود «الأولوجية السرية» (أي الإفخارستيا) وماذا تكون قوتها؟ ولماذا تأتي إلينا؟ أليس لكي تُدخل إلينا المسيح جسدياً بالشركة في جسده والتناول منه؟ ... فإننا نصير شركاء في الجسد معه بواسطة تناولنا من «الأولوجية السرية» – الإفخارستيا – ونصير معه جسداً واحداً كما صار الرسل القديسون.

ألم يقل المسيح إن أعضاءهم أو بالحري أعضاءنا جميعاً هي أعضاؤه؟ فإنه مكتوب بالفعل: «ألستم تعلمون أن أعضاءكم هي أعضاء المسيح» (١كو ٦: ١٥). والمخلِّص يقول: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو٦: ٥٦). ويجب هنا أن نلاحظ جيداً أن المسيح لا يتكلَّم عن حلوله فينا بمجرد رباط عاطفي، بل بمشاركة طبيعية κατα μεθεξιν φυσικην.

فكما أنه إذا عجن أحد قطعتين من الشمع معاً وجعلهما تنصهران في النار فإنهما تصيران واحداً، هكذا بقبول جسد المسيح ودمه الكريم، يكون هو فينا ونحن نكون متحدين فيه.

فالذي وُلِدَ قابلاً للفساد، لم يكن ممكناً إحياؤه بطريقة أخرى

إلاَّ بمزجه جسدياً بجسد الحياة نفسها أي بالابن الوحيد. وإذا كنت لا تريد أن تقتنع بكلامي، آمن على الأقل بالمسيح الذي يصرخ قائلاً: «مَنْ يأكلني فله حياة أبدية ...» (يو ٦: ٥٤و٥٥). إن الحياة الأبدية هي في الواقع جسد الحياة أي جسد الابن الوحيد.]

(تفسير إنجيل يوحنا ١٠: ٢)

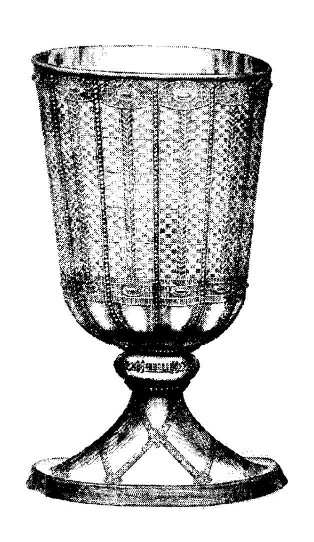
لابد أن نكتفي بهذه النصوص، لكن في العديد من النصوص الأخرى التي يتكلَّم فيها القديس كيرلس عن الوحدة ويشرح وصية المحافظة عليها، نراه بكل وضوح يميِّز بين مستوى أول، كياني «طبيعي»، ومستوى ثانٍ مُلازم للأول يختص بالالتزامات الأدبية والروحية. ولهذا المستوىً الثاني حقيقته بكل تأكيد، إذ أن حياتنا الأبدية تتوقف عليه.

لكن ليس لنا أن نطالب القديس كيرلس بشروح وافية عن هذه العلاقة الطبيعية والروحية في نفس الوقت، وعن الرباط القائم بين «العقيدة» وبين «الأخلاق» حسبما سمَّاه فيما بعد علم اللاهوت، من قبيل التمييز.

وإن القديس كيرلس يميز بينهما، ولكن لا يفصل قط في تفكيره بين «العقيدة» و «الأخلاق» (أي بين ما يُسمَّى اللاهوت النظري واللاهوت الأدبي). وإذا كان نضاله مع الأريوسيين ومع الأبوليناريين ومع نسطور قد دفعه بعيداً في ميدان المناظرة الفكرية، إلاَّ أننا نلاحظ أنه في قيامه بأعبائه الرعوية وفي تعليم «رعيته»، يتجنب الشروحات الجانبية غير المثمرة ويركز على كل ما هو ذو قيمة للحياة، إنه يُعلِّم

بمبادئ أخلاقية أصيلة من الوجهة المسيحية واللاهوتية تقوم على أساس عقيدتَيْ **الثالوث والتجسُّد**، ودخولنا بالنعمة في جسد الكلمة المتجسِّد.

ولابد أن نعترف أنه ينتقل، بيُسْرٍ فائق، من المقارنات التي هي مجرد استعارات، إلى الرموز التي تعادل الحقيقة في قيمتها، بحيث أن القارئ يتوه أحياناً في هذا الخضمِّ من الرموز الزاخرة. والصفحات التالية التي نقدِّم فيها ونحلِّل الصور التي تتشابه مع صورة الجسد السري والتي يستخدمها قديسنا لتلقين عقيدة الوحدة الروحية ووصية المحافظة عليها، هي صفحات مُعبِّرة للغاية عن خِصْب أسلوب القديس كيرلس التصويري.



(أ) العريس والعروس

هـذه الصـورة – العريـس واتحـاده بـالعروس – الـتي كثيراً مـا اسـتخدمها القديـس كـيرلس في معنـى **اتحاد المسيح مع الكنيسة** واتحـاد النفـس مـع الله، كـانت مُسـتخدمة مـن قبـل. ولكــن نظـراً لأنـه يمكـن التعـرُّض لهـا والاسـتفادة منهـا بطـرق مختلفـة، فلنبحـث بـالتدقيق كيـف اسـتخدمها القديـس كـيرلس الكبـير.

أولاً: في تفسيره لسفر هوشع(٣٤):

في حديثـه عـن اتحـاد النفـس مـع الله عـن طريـق المعرفـة والحـب، استعرض التعليـم التقليـدي الخـاص بالزيجة الروحيـة، ولكنـه يتميز بالـتركيز بصفـة خاصـة علـى فضيلـة الاتضـاع. وقـد دفعتـه إلى ذلـك رغبتـه في المحافظة علـى المعنـى الحـرفي للكتـاب. فلنشـرح كيفيـة ذلـك:

+ لقـد تلقّـى النبي مـن الله – وهـو القـاضي الأعلـى المتحكـم في تحديـد الخـير والشـر، الأمـر بـأن يتحـد «هوشـع» بـامرأة خاطئـة. وهنـا يثـور القديـس كـيرلس علـى هـؤلاء الذيـن يضغطـون علـى المعنـى الحـرفي للإنجيـل لتذويبـه وتحويلـه بسـهولة زائـدة إلى معـان روحيـة. فيقـول: ولكـن لمـاذا نتمـاحك ولا نقبـل هنـا المعنـى الحـرفي للأمـر الـذي أعطـاه الله للنـبي بحجـة أنه غير لائـق بقداسـة الله؟ إنـه علـى عكـس ذلـك، فهـذه الحرفيـة لهـا عندنـا معنـى سرِّي (ميسـتيكي) أكـثر سمـواً. إنـه يرمـز إلى اتحـاد رب الاتضـاع

وإلـه التنـازل مـع النفـس الـتي هـي دائمـاً في نظـره خاطئـة وغـير مسـتحقة لهذا الاتحـاد. **ألم يـأكل المسيح ويشـرب مـع الخطـاة والعشـارين، حبـاً في التنـازل إلى المحقـرة وحبـاً للمحتقريـن؟** ألم يذهـب الطبيـب الإلهـي بنفسـه إلى المرضـى؟ لمـاذا، إذاً، لا نقبـل حرفيـاً نـص هوشـع؟ ألا نجـد فيـه المعنـى الروحـي الأكـثر عمقـاً؟ **إن الله في رحمتـه اللانهائيـة يسـير بـالخطوات الأولى نحو الطبيعـة الآثمـة لكـي يتحـد بهـا.** أليـس هـذا هـو معنـى اتحـاد النبي بـالمرأة الخاطئـة؟

ويستخدم القديـس كـيرلس تشـبيه العريـس والعـروس ليفسـر اتحـاد المسيح بالكنيسة أكـثر مـن اتحـاد النفـس بـا لله.

ثانيـاً: في تفسـيره لإنجيـل يوحنـا:

+ ففـي تفسـير إنجيـل يوحنـا، **يعتـبر البشـرية بأسـرها عروسـاً وزوجـة للمسـيح. ويتـم هـذا الاتحـاد عـن طريـق المعموديـة.** ويوحِّـد هـذا الطقـس حديثي الإيمان بـا لله كمـا يوحِّـد أيضـاً جميـع المؤمنـين فيمـا بينهـم[٣٥].

+ وفي كتـاب «الجلافـير»، يـرى القديـس كـيرلس في راحيـل[٣٦] وفي رفقة[٣٧] صورة للكنيسة عروس المسيح.

ثالثاً: في تفسيره لنشيد الأناشيد:

+ كـان لابـد أن يعـود أيضـاً إلى هـذه الفكـرة ويزيدهـا وضوحـاً، إذ يشـير إلى أن المؤمنـين وأصحـاب الدرجـات الكهنوتيـة هـم عـروس المسـيح، وأن الأعضـاء الأساسـيين في هـذه الدرجـات الكهنوتيـة هـم الأسـاقفة والكهنـة والشمامسـة والمعلمـون والرعـاة[٣٨].

+ ويعتبر القديس كـيرلس **الكنيسـة، عـروس المسـيح، أُمًّـا: إنهـا تقُـوت**

الصالحين والقديسين(٣٩).

ونادراً ما يشرح بإيضاح استعارة واحدة دون الاستعارات الأخرى، رغبة منه في توضيح كيف أنها تتشابه وتتكامل! فإننا نرى أحياناً المقارنة بين **إتحاد النفس والجسد** تسير جنباً إلى جنب مع المقارنة **بالخبز الذي يأكله الإنسان فيحوله إلى جسده، أو حتى بالمقارنة مع اتحاد الزوجين اللذين يصبحان فيما بينهما جسداً واحداً**. ونلاحظ هنا اهتمامه بإبراز الوحدة «الطبيعية» القائمة في المسيح بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية أو بين المسيح والمسيحي الذي يشترك في تناول «الأولوجية السرية» (أي الإفخارستيا).

رابعاً: في الجلافير – سفر التكوين:

وحينما يتكلّم القديس كيرلس في «الجلافير – على سفر التكوين» عن الكنائس المختلفة المنتشرة في العالم، يشرح ذلك وكأن هذه الكنائس عرائس للمسيح اقتناها بدمه، **وهي تشكّل بيتاً واحداً وأسرة واحدة**(٤٠). **فالمقارنة بالزيجة تستمر مع المقارنة بالبيت وبالأسرة.** ويصعب على القديس كيرلس أن يشرح استعارة واحدة ويستطرد فيها. إلاَّ أنه على الأقل يصمم بشدة على هدفه وهو إبراز مبدأ الوحدة.

وها هو نص آخر يبدأ بالمقارنة **بالخبز** وينتهي بالمقارنة بالاتحاد عن طريق **الزيجة**:

[**لقد صرنا متحدين في الجسد συσσωμοι بواسطة «الأولوجية السرية» (أي الإفخارستيا)**، ولكننا صرنا أيضاً

بوسيلة أخرى **متحدين بعضنا ببعض، لأننا صرنا شركاء κοινωνοι الطبيعة الإلهية بواسطة الروح**، فهو يسكن نفوس القديسين. وكما قال الطوباوي يوحنا: «بهذا نعرف أنه **يثبت فينا من الروح الذي أعطانا**» (١يو ٣:٢٤). فهو إذاً حياتنا وهو تبريرنا. ومكتوب أيضاً: «إذاً، كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببرٍّ واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة» (رو ٥:١٨). فلا غرابة، إذاً، إنْ وجدنا سر المسيح معلناً حتى في آدم الأول، ليس بصورة مشابهة كاملة بل على العكس بصورة مقابلة معكوسة. فذاك، أي آدم، كان مبدأ جنسنا للموت واللعنة والدينونة، وأمَّا المسيح، فبعكس ذلك تماماً، كان مبدأ وأصل خلقتنا للحياة والبركة والتبرير. **الإنسان الأول اتحد بالمرأة في جسد واحد وبذلك هلك، وأمَّا المسيح فقد وحَّد الكنيسة بنفسه بواسطة الروح وبذلك حررها وخلَّصها ورفعها فوق مكيدة الشيطان**](٤١).

وإذا تساءلنا في نهاية هذا الجزء: متى انعقد هذا الاتحاد بين المسيح والكنيسة بواسطة الروح؟ يجيبنا القديس كيرلس في تفسيره للنشيد أنه انعقد في يوم الصليب:

[إنه يدعوه (أي يوم الصليب) **يوم فرحه**، يوم آلامه، حيث أنه **اتحد فيه بالكنيسة بواسطة دمه**](٤٢).

(ب) الكرمة والأغصان – الراعي والخراف

ليس من العجيب أن القديس كيرلس – وهو معروف على الخصوص بتفسيره للإنجيل الرابع – كثيراً ما يعود إلى شرح هذه المقارنات التي استخدمها المسيح ليشرح الوحدة الروحية التي يجب أن توجد بينه وبين ذويه. إن أهم تفاسيره الخاصة بالكنيسة بصفتها «**الحظيرة**» و «**الكرمة السرية**» واردة في شرحه للأصحاحين العاشر والخامس عشر لإنجيل القديس يوحنا(٤٣). وهو يفرد فيها مكاناً للاعتبارات النسكية أوسع مما يفرده للعقيدة الخاصة بالكنيسة نفسها. كذلك يدخل فيها في مناقشات ذات أهمية كبيرة حول الثالوث وطبيعة المسيح(٤٤). وهو يؤكد الوحدة في الجوهر بين المسيح الذي هو الكرمة والناس الذين هم الأغصان، ويُقرِّب هذه الصورة الواردة في إنجيل يوحنا بتلك التي يقدِّمها بولس الرسول عن الكنيسة كجسد للمسيح(٤٥).

وأخيراً يشير إلى أن **المسيح يُحيي فقط جسد الكنيسة ليس فقط بصفته الشمولية، بل إن له أثراً محيياً على كل نفس على حدة.** وأهم الأغصان التي يتمجَّد فيها الآب بصفة خاصة هم الرسل الذين أرسلهم المسيح ليذهبوا ويأتوا بثمر كثير ويربحوا النفوس بكرازتهم(٤٦).

وعندما يشرح القديس كيرلس ماهية رسالة الرسل التي تهدف إلى

مجد الآب وخلاص الناس، يشير إلى أنها قائمة على محبة الله ومحبة القريب. فبهذا فقط يثبت الرسل في محبة المسيح ومحبة الآب – في الوحدة مع المسيح والوحدة مع الآب:

[**رعاية** النعاج والحملان ليست سوى **محبة** المسيح][٤٧].

لذلك كان على القديس بطرس قبل أن يقبل مسئوليته الرعائية أن يجيب على سؤال المسيح: يا بطرس أتحبُّني؟ وهكذا نرى أن رسالته الرعائية لا ترتكز فقط على إقراره بالإيمان الذي أورده القديس متى في إنجيله الأصحاح السادس عشر، بل وترتكز أيضاً كشرط أساسي لها أو كوسيلة أساسية لممارستها على هذا الإقرار بمحبة المسيح الذي يورده القديس يوحنا الإنجيلي بتأثر بالغ[٤٨].

ومن جهة أخرى، فإن المسيحي العادي لا يدخل في المسيح إلاَّ بواسطة الإيمان والمحبة (رو١١: ٢٠ وأف ٣: ١٨). ولكن كيف نصوِّر هذا الدخول في المسيح؟

لم يستطع القديس كيرلس أن يمتنع عن تقريب صورة «**الكرمة**» بصورة «**الزيتونة**» التي تكلَّم عنها بولس الرسول. وقد سبقه في ذلك سَميُّه القديس كيرلس الأُورشليمي في تعاليمه للموعوظين[٤٩].

إن غَرْس الإيمان في نفوس العتيدين أن يصيروا مؤمنين يحدث عادة من خلال المعمودية التي تلي الكرازة. فالكنيسة هي أم المؤمنين[٥٠]، المؤسسة على الإيمان[٥١] بالمسيح الراعي الأول والأبدي للمؤمنين[٥٢]، تلك الكنيسة التي هي عروس المسيح، بل هي أيضاً الهيكل الروحي كما سيتبين لنا، قد تأسست على الرسل وعليهم تأسس المؤمنون[٥٣].

فبواسطة الكرازة الرسولية انتشرت الكنيسة في العالم(٥٤)، وبواسطة المعمودية يصير المؤمنون συμφυτοι (أي متحدين انظر رو ٦ :٥) مع المسيح. فالمعمودية هي نقل الغرس إلى موضع جديد أو بالحري هي عملية تطعيم. ولكن يجب أن نعكس هنا فكرة التطعيم: فالفروع المقطوعة من الزيتونة البرية تُطعَّم على الزيتونة الجيدة. وبذلك يصير الإنسان شريكاً في عصارة المسيح. وهذه العصارة هي روح المسيح نفسه الذي به نتأصَّل في المسيح (كو ٢ :٧)، وهذه العملية السرية mystique تتم بالنعمة بواسطة الإيمان والمحبة(٥٥).

فالنعمة χαρις وهي غِنَى النفس وقوتها وثوبها وزينتها وختم مرسوم عليها(٥٦)، يمكن اعتبارها صفة ποιοτης(٥٧)، للروح القدس ولكنها ليست مجرد صفة، بل هي حلول الروح القدس نفسه داخل النفس، أو على الأقل هي مُلازمة لهذا الحلول. ألم يقل المسيح: اقبلوا الروح القدس؟ فالروح القدس يُغيِّر النفوس إلى صورة الله، ليس باستخدام النعمة كأداة بل بإعطاء ذاته كمشاركة في الطبيعة الإلهية(٥٨). فالمسيح يعطي الروح القدس وهو يفعل ذلك من بعد قيامته. إنه يعطيه أولاً للرسل ثم بواسطة الرسل للمؤمنين. فمن ملء المسيح نحن جميعاً أخذنا كل شيء وأخذنا أولاً الروح القدس(٥٩). والروح القدس هو قوة الابن المقدِّسة، وهو يعمل في المعمودية على تجديد المبرَّرين، ويقيم مسكنه داخل نفوسهم(٦٠).

وإذا كان هناك ثمة رباط وثيق بين عطية الروح القدس والمعمودية، فإنه يوجد أيضاً رباط آخر لا يقل عنه في ديمومته، هو الرباط بين الإيمان وطقس المعمودية. فالمعمودية هي مدخل ملكوت السموات

وهي وسيلة التقديس لغسل أوساخ النفس[٦١]، وهي توحِّد حديثي الإيمان مع الله كما توحِّد جميع المؤمنين فيما بينهم[٦٢]، في وحدة المسيح والكنيسة. ونظراً لأنه لا يوجد إلاَّ مسيح واحد، فلا يوجد إذاً إلاَّ إيمان واحد ومعمودية واحدة. وبهذا الإيمان الواحد ينبغي أن يبقى جميع المؤمنين متحدين. فإن انفصلوا عنه كما يفعل الهراطقة فإنهم يهلكون، لأن الأغصان التي تنفصل عن الكرمة تتوقف عنها الحياة[٦٣].

فالمعمودية لا تنفصل قط عن الإيمان. ففي طقوس الانضمام إلى المسيحية كان يسبق الاحتفال بالمعمودية، اعتراف ثلاثي بالإيمان[٦٤]، وكان هذا الطقس الذي ينقل الموعوظين إلى الحياة الجديدة في المسيح والكنيسة، كثيراً ما يُشار إليه بهذا الاسم المزدوج «الإيمان والمعمودية» πιστις και βαπτισμα[٦٥]. فالإيمان لا ينفصل عن المعمودية قط. وهو من جهة أخرى لا ينفصل عن المحبة. ولا يفتر القديس كيرلس من تكرار هذه الفكرة مراراً كثيرة في عظاته الفصحية وفي كتابه عن العبادة بالروح والحق. **فالحياة المسيحية، وهي حياة الاتحاد بالمسيح، تستلزم أن نقرن الإيمان المستقيم النقي بممارسة الأعمال الصالحة. فبدون الأعمال الإيمان ميت ولا يكفي للخلاص. فالمحبة والأعمال الصالحة هي بالنسبة للمسيحيين مقياس صدق اتحادهم بالمسيح**[٦٦]. فقد اعتمدنا بموته وأُحيينا بجسده المحيي[٦٧]، وبدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً، ولكننا بنعمته التي هي عصارته الإلهية، وبفعل معونته الفعَّالة، إذ نحن متحدون به كالأغصان في الكرمة، نأتي بثمر كثير[٦٨]. وأنقل هنا للقارئ هذه السطور من كتاب «الجلافير على التكوين» حيث تتحد

فكرة «**الكرمة الســـرية**» الغالية عند القديس يوحنا بفكرة «**التطعيـــم**» التي كان يحبهـا القديـس بولـس:

[هـو الـرأس ونحـن جســده وأعضــاؤه. وهــو الكرمــة ونحــن قــد طُعِّمنا فيه مثـل الأغصــان، واتحدنـا معـاً في الوحـدة بحسـب الـروح بالقداســة](٦٩).



(ج) الهيكل والمسكن

لقد استعرضنا العديد من المقارنات التي لجأ إليها القديس كيرلس للإحاطة والتعبير عن سر الكنيسة وسر وحدتها. فقد شبهها **«بالحظيرة»** و**«بالبناء المترابط»** و **«بمدينة»** فهي أورشليم الجديدة[٧٠]. وهي مثل «سفينة» **سائرة على أمواج هذا العالم تحمل المؤمنين إلى موطن القديسين**[٧١]، أمَّا **«الهيكل»** فهو من أكثر الرموز شيوعاً في كتاباته.

والرسل هم الأُسس غير المتزعزعة لهذا الهيكل[٧٢]. والمسيح فيه هو حجر الزاوية. والجميع في هذا الهيكل لهم قُدُومٌ لدى الآب بروح واحد. والمسيح يجذب جميع المسيحيين إليه على الصليب. وبحلول روحه فيهم يسكن فيهم بصفتهم هيكلاً له. **وهو يتحد بالجميع ليكونوا جميعاً واحداً فيما بينهم**، كما أن الآب والابن واحد في الروح القدس.

فالكنيسة هيكل ومسكن للروح القدس: هذه الفكرة تُعتبر محور فكر القديس كيرلس فيما يخص الكنيسة، وهو يعود إليها ويكررها في جميع مؤلفاته تقريباً ولا سيما في الفصلين التاسع والعاشر من كتابه عن «العبادة بالروح والحق»[٧٣]. وفي معظم تفاسيره عن أسفار العهد القديم (التكوين، إشعياء، ميخا، صفنيا، زكريا) وفي كتاباته التفسيرية

للعهد الجديد (لوقا، يوحنا، الرسالة إلى رومية، رسالة بطرس الأُولى)[٧٤].

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التشبيه (**الهيكل**) يستخدمه القديس كيرلس بطرق متنوعة:

+ ففي **العبادة بالروح والحق** يعتبر هيكل العهد القديم رمزاً للكنيسة.

+ أمَّا في **تفسير إنجيل يوحنا** فالقديس كيرلس يتكلَّم عنه في معظم الأحيان بصفته رمزاً للمسيح.

+ وفي أكثر المواضع يعتبر الهيكل صورة للنفس التي يسكن فيها الروح.

وعلى كلٍّ فكثيراً ما نجد هذه المعاني المختلفة متداخلة، بل كما أشرنا من قبل، نجدُ أن التشبيهات الأخرى مثل الاتحاد الزيجي والكرمة السرية تتداخل وتتقارب مع التشبيه بالهيكل والمسكن. إنها تنسجم معاً وتتكامل. فمثلاً تفسير النشيد الذي كان من الطبيعي أن نجد فيه تركيزاً على الاتحاد بين العروسين، نجد فيه أيضاً شرحاً مستفيضاً لبناء الهيكل السري[٧٥]. وفي كتاب «الكنوز عن الثالوث القدوس المساوي في الجوهر»، نصادف إحدى الصيغ الموجزة المركَّزة في معناها التي اعتاد القديس كيرلس أن يستخدمها، وهو يجمع فيها كل فكره بخصوص الموضوع الذي يشغلنا. فهو في صيغة واحدة يُعبِّر بقوة عن وحدة الآب والابن، وعن وحدة الابن مع البشرية، وعن وحدة المؤمنين فيما بينهم، وفيها أيضاً يدعو الكنيسة مرة جسداً ومرة أخرى هيكلاً، ويعتبر هذين التعبيرين متساويين (كما سبق وفعل فيما يخص الجسد الحي والكرمة الروحية):

[**نظراً لأنه أخذ جسداً بشرياً فهو لنا،**

إلاَّ أن له الآب أيضاً في ذاتـــه،

فكأن المسيح يقول: **كما أني أنا فيهم والآب فيَّ**، هكذا أريد **أن تكونوا كاملين بحيث تكونون متحدين بالوحدة فيما بينكم وتكونون جميعاً فيَّ، كجسد واحد**، وبذلك أحملكم جميعاً في ذاتي كما في هيكل](٧٦).



(د) صورة الخبز

لم تكن الصورة الكتابية التي تدور في فَلَك الطعام الروحي (ومن بينها مت ١٣: ٣٣ ولو١٣: ٢١ و١كو ١٠: ١٧ ورو١١: ١٦) لتغيب عن النظر الواعي للقديس كيرلس. ولقد وحَّد من قبله القديس بولس توحيداً وثيقاً بين مقارنة «الخبز» ومقارنة «الجسد». ولم يصعب قط على المعلم الإسكندري أن يلحق بفكر الرسول، المقتضب في معظم الأحيان، وأن يتعدَّاه بقدر ما، ثم يُجسِّمه ويُنغِّمه. ذلك لأن أسلوب القديس كيرلس، السِّري أحياناً والهادئ أيضاً أحياناً أخرى، يمكنه أن يصبح طواعية ممتلئاً صوراً بطريقة غير عادية وقريباً من الفخامة. ونظراً لأننا نهدي هنا ملحوظة عن أسلوب القديس كيرلس وطريقة تفكيره يجدر بنا أن نسجِّل في هذا الصدد أن هذا الكاتب العنيف والحاد في لهجته، هو في نفس الوقت عميق وروحي في تأملاته، ويعرف كيف ينتقل بيُسْر من الكلام اللاذع العنيف ضد يوليانس الجاحد أو ضد نسطور إلى الارتفاع العقائدي السامي وإلى الإيضاحات اللاهوتية التي تنفتح وتزدهر في صلاة هادئة. وهذا هو ما يحدث بصفة خاصة حينما يعطي انطلاقة كاملة لتقواه الإفخارستية.

لقد دُرِسَتْ عقيدته الإفخارستية مراراً كثيرة(٧٧). ونحن لن نذكر هنا إلاَّ ما هو متصل اتصالاً وثيقاً بموضوع دراستنا عن الوحدة. ومن

الطبيعي أن نتوقّع لما سيصادفنا في دراسة هذه الصورة من صعوبة، نظراً لأن خبز الإفخارستيا ليس مجرد رمز بل هو رمز وفي نفس الوقت حقيقة.

إننا لا نكون سوى «**خبز واحد**» «**جسد واحد**» لأننا **متحدون فيما بيننا ومع المسيح**. والسبب في هذه الوحدة هو أولاً **جسد المسيح الذي يوزَّع إلى آلاف المؤمنين المنتشرين في العالم، ومع ذلك يحتفظ بكمال وحدته لأنه يُعطى بأكمله لكل واحد**. كما تنبع هذه الوحدة السرية أيضاً من **روح المسيح** الذي يرتوي منه الجميع في «الأولوجية السرية» (الإفخارستيا)، بل وقبل ذلك في المعمودية أيضاً. وقد أبرز القديس كيرلس السبب الأول في «الحوار الأول عن الثالوث»(٧٨). أمَّا السبب الثاني فقد أوضحه، أحياناً بمجرد ذِكْره وأحياناً أخرى بشرح مستفيض في عدة مواضع من «العبادة بالروح والحق» ومن التفاسير الكتابية ومن المؤلفات الجدلية ضد نسطور(٧٩)،وعلى الأخص تفسيره لإنجيل يوحنا بمناسبة شرحه للمنِّ السماوي ولإشباع الجموع ولصلاة المسيح الكهنوتية، حيث يوضِّح بأكثر استفاضة العلاقة بين «**الاتحاد في الروح القدس**» و «**الاتحاد بالإفخارستيا**»:

[لمَّا أراد ابن الله الوحيد أن يُدخِلْنَا في الوحدة مع الله وبعضنا مع البعض ويُصيِّرنا ممتزجين بعضنا ببعض، على الرغم من كوننا مختلفين ومُفترقين بالأجساد والأرواح بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منَّا، ابتكر لذلك وسيلة هي ثمرة حكمته ومشورة الآب. فقد بارك المؤمنين به **بواسطة التناول السري من جسد واحد هو جسده الخاص، وجعلهم بذلك** جسداً واحداً معه بالكمال

وبعضهم مع البعض. فمن ذا يستطيع أن يفرِّق ويفصل من هذا الاتحاد الطبيعي φυσικης ενωσεως أولئك الذين اتحدوا بوحدة المسيح بواسطة هذا الجسد المقدَّس الوحيد؟ **فالمسيح لا يمكن أن ينقسم. ولهذا السبب تُدعى الكنيسة جسد المسيح ونحن أعضاؤه** ανα μερος بحسب فكر القديس بولس (١كو ١٢:٢٧). **وحيث أننا جميعاً متحدون بالمسيح الواحد بواسطة جسده المقدَّس، إذ نتناوله في أجسادنا وهو واحد وغير منقسم، فنحن بذلك نكون أعضاء المسيح ونكون له أكثر مما لأنفسنا.**

وإذا كنَّا جميعنا شركاء في جسد واحد (أف ٣:٦ συσσωμοι بعضنا مع البعض في **المسيح** (وليس فقط «بعضنا مع البعض»)، بل أيضاً شركاء في الجسد مع ذاك الذي يحل فينا بجسده الخاص، فكيف لا نكون منذ الآن، بطريقة منظورة واحداً بعضنا مع البعض وفي المسيح؟

فالمسيح في الواقع هو رباط الوحدة لأنه هو هو نفسه إله وإنسان واحد.

أمَّا بخصوص الوحدة في الروح، فإننا سنتبع تقريباً نفس الخطوات في تأملاتنا، ونقول إننا **إذ قبلنا جميعاً في ذواتنا الروح الواحد بعينه، أي الروح القدس، فقد صرنا بذلك ممتزجين جميعاً بعضنا بالبعض ومع الله.** ورغم أننا متميِّزون بعضنا عن البعض، **وأن المسيح يرسل في كل واحد منَّا روح الآب الذي**

هو روحه أيضاً، فإن هذا الروح هو مع ذلك واحد وغير قابل للانقسام(*) وهو يجمع بذاته في الوحدة الأرواح المتعددة المتميزة من حيث كيانها الفردي، ويجعلها جميعاً كياناً واحداً روحياً في ذاته.

فكما أن قوة الجسد المقدَّس تجعل الذين يحل فيهم شركاء في الجسد، كذلك، بحسب رأيي، روح الله الوحيد إذ يسكن في الجميع بدون أن ينقسم فهو يقودهم جميعاً حتماً إلى الوحدة الروحية][٨٠].

ويستشهد هنا القديس كيرلس، تأكيداً لما يقوله، بالأعداد ٣-٦ من الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أفسس[٨١].

وبصدد صورة «الخبز» يمكننا أن نُقرِّب منها أيضاً صورة الخميرة التي تخمِّر العجين كله. فالمسيح هو الخميرة، الخميرة السماوية، والمؤمن هو العجين الذين يختلط به المسيح. فهذا التشبيه يفيد الاندماج والتداخل الكامل، بل والإحياء السري[٨٢].

وجسد المسيح هو جسد مُحيي. فحينما نقبله في الإفخارستيا بالاشتراك في الخبز «الروحي»، «السري»، «المحيي» المُعطَى لنا في «الأولوجية»[٨٣]، (الإفخارستيا)، **فإن جسد المسيح يجعلنا نحيا حياة جديدة، سماوية، إلهية، غير مائتة. وأمَّا الروح القدس فهو الذي بحضرته الفعَّالة النشيطة والمغيِّرة يشرف ويقود عملية الإحياء هذه**

(*) εν και αμεριστον أي واحد وغير قابل للتقسيم

ويُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهيـــة[٨٤].

فبالتناول من ذبيحة المسيح تنتقل حياة ابن الله ذاته، الموجود بحق على مذابح الكنائس، إلى الذين صاروا أبناء بالتبني. فهو يكون حاضراً بالحقيقة في وسط الجماعة، مُقدِّماً نفسه كذبيحة. فبعد أن تتقدَّس القرابين، لا يوجد بعد خمر ساذج، ولكن يكون قد حلَّ مكانه الدم الكريم الذي للمسيح، الذي استحقاقاته اللانهائية قد كفَّرت بسعة عن جميع خطايانا[٨٥]. وكذلك الخبز لم يتبقَّ منه إلاَّ المظهر:

[لقد قال الرب بصيغة الإشارة: «هذا هو جسدي وهذا هو دمي»، لكي لا نعتبر ما هو ظاهر أمامنا كأنه مجرد رمز، بل لكي نعلم جيداً أن القرابين قد تحوَّلت تماماً بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه بالقدرة غير الموصوفة التي للإله القادر على كل شيء][٨٦].

ليس الخبز إذاً في سر الأولوجية (الإفخارستيا) مجرد رمز، ولكنه **وجود حقيقي للرب. وما يظهر أمامنا ليس مجرد صورة، ولكنه في الواقع حقيقة جسد المسيح عينه.** بل إن إقامة هذا السر لا تُحقق لنا فقط مجرد وجود الرب في وسطنا، ولكنها أيضاً ذبيحة حقيقية تُعتبر استمراراً لذبيحة الصليب ولا تختلف عنها إلاَّ في كونها ذبيحة غير دموية[٨٧].

وبالتناول من ذبيحة المسيح، يدخل المؤمنون في شركة حياة ابن الله الإلهية والأبدية. فالابن هو «حياة» بصفته مولوداً من الآب المحيي. وجسده المقدَّس الذي امتزج نوعاً ما بل اتحد سراً بالكلمة الداعي الكل

إلى الحياة، قد صار هو أيضاً محيياً:

[فلأن جسد المخلِّص قد صار محيياً بسبب اتحاده بطبع الحياة عينها، أي بكلمة الله، فنحن **حينما نأكله نقبل الحياة في أنفسنا، لأننا نكون متحدين بهذا الجسد كما هو متحد بالكلمة الحالّ فيه**][88].

لذلك ليس من العجيب أن نجد بطريرك الإسكندرية يُشارك القديس يوحنا فم الذهب والقديس كيرلس الأُورشليمي في اعتبار فكرة الاتحاد المعنوي الوجداني غير كافية للتعبير عن اتحادنا بالرب في الإفخارستيا. فنحن في الإفخارستيا نلتصق ونتحد بالرب اتحاداً طبيعياً واقعياً[89] (وليس فقط في المشاعر). ومع ذلك فإن هذا الاتحاد الطبيعي يتطلب من المؤمنين مشاعر معينة من جهة الإيمان والنقاوة والمحبة.

حينما يحضر المسيحيون «سر مباركة القرابين» الذي يُقام في الكنيسة، وهو لا يُقام إلاَّ في الكنائس الأرثوذكسية، ثم يأخذون في نهايته جسد المسيح على أيديهم ويأكلون من هذا الطعام الروحاني، فإنهم ينالون منه إحياءً وتقديساً لنفوسهم وأجسادهم[90]، ويصيرون متحدين بالمسيح اتحاداً وثيقاً كمثل قطعتين من الشمع مسبوكتين معاً[91]، وبأقل جوهرة من الأولوجية (الإفخارستيا) ينالون قوة ضد الفساد وضد الشيطان[92]. إنهم يستعيدون صحة أرواحهم فيصيرون أقوياء ليمتنعوا عن الخطية ويُميتوا شهواتهم[93]. بل إن جسد المسيح يُحوِّلهم إلى خلود وحياة[94].

وبالإضافة إلى هذا الارتقاء الفردي، هناك مفاعيل جماعية للتناول من جسد المسيح. **فجميع المؤمنين يُشكّلون كائناً واحداً بعينه بسبب قوة التوحيد المذخرة في جسد المسيح الواحد غير القابل للانقسام. فالتناول من جسد المسيح هو أصل وجوهر وحدة الكنيسة الجامعة، وهو كمال الوحدة:**

[نحن جميعاً بحسب الطبيعة منحصرون في شخصياتنا، ولكن من جهة أخرى نحن جميعاً متحدون. فعلى الرغم من كوننا منقسمين إلى شخصيات متميزة بعضها عن بعض بحيث أن أحدنا يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى، لكننا جميعاً **ننصهر في جسد واحد في المسيح إذ نأكل جسداً واحداً. والروح الواحد يشكل وحدتنا.**

وكما أن المسيح واحد وغير قابل للإنقسام، هكذا نحن أيضاً **نكون واحداً فيه.**

ولذلك طلب من أبيه السماوي قائلاً «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»][٩٥].

وفي هذا القول نجد مثالاً جديداً للأقوال التي يقرِّب فيها القديس كيرلس بين:

+ وحدة الآب والابن في الثالوث،

+ والوحدة الطبيعية والروحية بين المسيح والإنسان المسيحي بواسطة التجسد والإفخارستيا.

+ ووحدة المسيحيين فيما بينهم.

إننا ننال بالمعمودية بحسب فكر القديس كيرلس وحدة روحية حقيقية، غير أن الوحدة التي ننالها بالإفخارستيا تكون بدرجة روحية أعمق وأكمل!

فنحن في المعمودية ننال نوعاً من الانتماء إلى جسد المسيح ونقبل روح التبني أي روح الابن الذي به نصرخ يا أبّا الآب، ونُولَد من جديد من الماء، الذي به نتطهر. والتركيز في سر المعمودية واقع بالأكثر على فضيلة **الإيمان** التي بها ننتسب للمسيح.

أمّا في سر الأولوجية (الإفخارستيا)، فالتركيز واقع بالأكثر على فضيلة المحبة. **فالإفخارستيا هي رباط وحدتنا. وتظهر ثمارها الفائقة فينا في وحدة الرأي، والتوافق الأخوي، والتغاضي عن الإساءات، وبذل الذات من أجل القريب. فالمسيح لا يمكن أن ينقسم، ولذلك فعلى أعضاء المسيح أن يتجنبوا كل ما مِنْ شأنه أن يشدخ الرباطات الأخوية وأن يشجِّعوا كل ما من شأنه أن يوثقها.** وما أكثر الفقرات التي تفيد هذا المعنى بصورة بليغة ومُقنعة للغاية[٩٦]، حتى يجد الباحث صعوبة في اختيار إحديها دون سواها!

[لمّا أراد ابن الله الوحيد أن يُدخلنا في الوحدة مع الله ومع بعضنا البعض، ويُصيِّرنا ممتزجين بعضنا ببعض على الرغم من كوننا مختلفين ومفترقين بالأجساد والأرواح بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منا، ابتكر لذلك وسيلة هي ثمرة حكمته ومشورة الآب. فقد بارك المؤمنين به بواسطة التناول السري من جسد واحد هو جسده الخاص، وجعلهم بذلك جسداً واحداً معه بالكمال وبعضهم مع البعض.

والمسيح لا يمكن أن ينقسم بأي حال من الأحوال.

وحيث أننا جميعنا متحدون بالمسيح الواحد بواسطة جسده المقدَّس، إذ نتناوله في أجسادنا، وهو واحد وغير منقسم، **فنحن بذلك نكون أعضاء المسيح ويكون المسيح لنا هو في الواقع رباط الوحدة**](97).

والآن يتضح أن صورة «**الخبز**» تمتاز عن الصور الأخرى السابقة (مثل «**العُرْس**» الروحي و «**الكرمة**» السرية و «**الهيكل**» إلخ ...) في أن الرباط على أشدِّه بينها وبين صورة - بل وحقيقة - الجسد الإلهي في وضعه الإفخارستي وفي وضعه الكنسي. فالمسيح هو خبز السماء الذي يُحيي جميع الناس. وبسبب عدم قابليته للانقسام هو يوحِّد جميع المؤمنين بصفتهم أعضاء في جسد واحد هو فيه جوهر الحياة:

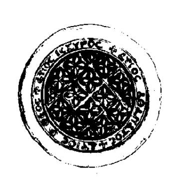
[المن الذي كان مجرد صورة لسر الأولوجية، لم يكن هو خبز السماء بل أنا، يقول المسيح، أنا الذي نزلت من السماء وأُحيي جميع الناس وأتداخل في الذين يأكلونني بواسطة الجسد الذي وحَّدته بنفسي...]

[ونحن حينما نصير شركاء في الروح الواحد نكون متحدين مع مخلِّص الجميع وبعضنا مع البعض، ومن جهة أخرى نحن شركاء أيضاً في جسد واحد: «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠:١٧). **فجسد المسيح الذي فينا يربطنا برباط الوحدة لأنه غير منقسم بأي حال من الأحوال**](98).

إن النصــوص الهامــة الــتي قدمناهــا بــالعرض والتحليــل تُنمِّــي إلى حــد بعيـد مفهومنـا عـن الكنيسـة كجسـد للمسـيح. فـالصور والتشـبيهات الـتي يستخدمها القديـس كـيرلس تُدخلنـا بـلا جـدال في سـر الوحـدة الروحيـة أفضل مـن أي تعليـم نظـري.

وفي وسـط جميـع هـذه الصـور الروحيـة الـتي تعـبِّر عـن حقيقـة الكنيسـة، نجـد صـورة «الجسـد الحـي»، (وهـي متصلـة بصـورة العُـرْس الروحـي)، وهـي أكملهـا جميعـاً وأكثرهـا سمـواً في فكـر القديـس كـيرلس كمـا كـانت أيضاً في فكـر القديـس بولـس الرسـول.

فلنعرض، إذاً، الآن هذه الصورة، «**الجسد الحي**»، التي تُعتبر الوضع النهائي لفكرة «**ملكوت الله**» التقليدية (في العهد القديم والأناجيل) والتي توصلنا في النهاية إلى مَنْ هو أكثر من صورة، إلى «**المسيح نفسه**» الذي هو «**الكنيسة**»!



— ٥ —

عقيدة «الكنيسة جسد المسيح»
تبلغ كمالها عند القديس كيرلس الكبير

بينما يكتفي القديس كيرلس عندما يتكلَّم عن الكنيسة بالقول «جسد المسيح» مثلما يفعل القديس بولس والآباء الآخرون، إلاَّ أنه كثيراً ما يستخدم كلمة μυστικος «سرِّي» أو «ميستيكي» ليصف سر الكنيسة وكذلك «سر المسيح» μυστηριον Χριστου[٩٩]. وهو يستخدم أيضاً صفة «السري» μυστικος[١٠٠] حينما يتكلَّم عن «الأولوجية» أي الذبيحة المقدَّسة وسر الخلاص[١٠١].

ولكنه استخدم أيضاً اصطلاح «الاتحاد السري» عندما كان يعلِّق على الآية (١٤) لمقدِّمة إنجيل القديس يوحنا، **حيث شرح وفسَّر «الاتحاد السري» بأنه اتحاد بشريتنا الضعيفة مع الله الكلمة في المسيح**[١٠٢].

ولكن ندرة التركيز على عبارة «الجسد السري» عند القديس كيرلس ليست بالأمر الرئيسي أو الهام. ولكن ما هو أكثر تشويقاً وأكثر فائدة في كتابات القديس كيرلس عن جسد المسيح هو دراسة العقيدة نفسها، لأنها باعتراف الكثيرين تبلغ عند القديس كيرلس أعلى

درجة في الكمال بَلَغتها الكنيسة الشرقية.

وقد وصف القديس كيرلس، وبتفصيل، **الوحدة الروحية التي تربط المسيحيين بالمسيح والتي تربط المسيحيين فيما بينهم**. ولكن كثيراً ما نجد هذه الشروح متفرقة في مؤلفاته حيث تأتي متصلة بشروح لمواضيع أخرى. ولذلك كان من المهم بذل الجهد في البحث عنها واستخراجها والتنسيق بينها وإبرازها كمنهج فكري متكامل عند القديس كيرلس.

عناصر عقيدة القديس كيرلس بالنسبة للكنيسة، «كجسد المسيح الحي»:

يمكن تلخيص هذه العناصر في كلمات واضحة:

١ - الوحدة والتنوع،

٢ - مشاركة الأعضاء في الرأس، ومشاركة الأعضاء فيما بينهم،

٣ - نمو الكنيسة كجسد واحد.

٤ - اكتمال الوحدة.

١ - الوحدة والتنوع بين أعضاء الجسد:

أمَّا أُسس الوحدة فيمكن تلخيص مكوناتها كالآتي: المسيح نفسه كرئيس، ثم المسيح كرأس للجسد، ثم روح المسيح أي الروح القدس.

ولكن بينما الروح القدس عامل أساسي في وحدة أعضاء الجسد، فهو أيضاً مبدأ تعدُّد وتمايز الأعضاء. كذلك فإن اصطلاح «**رأس الجسد**» هو أيضاً يوحي بتنوع الوظائف وتعدُّد الأعضاء في الجسد.

ويركز القديس كيرلس على تعليم القديس بولس عن «تنوع الأعضاء في الجسد الواحد» (رو١٢: ٤و٥، ١كو ١٢: ١٢-٢٧).

ولكن القديس كيرلس يستطرد باستفاضة في هذه المواضيع ويشرحها بإسهاب، وهو يوضح كيف أن هناك تقسيماً لكل نشاط، كما يوضح كيف أن كل عضو يُسنَد إليه نشاط وعمليات شخصية في الجسد، وكيف يكون التدرُّج في الوظائف الكنسية وفي المؤمنين ابتداءً من الأساقفة والقسوس والشمامسة والرهبان - حتى إلى الأرامل والمتبتلين والمتزوجين وخادمات الكنيسة، حيث لكل فرد من جميع هؤلاء التزاماته الخاصة، إنما بما يتناسب مع السن والدرجة والوظيفة والمهنة والحالة الصحية والاجتماعية.

٢ - مشاركة الأعضاء في الرأس:

يركز القديس كيرلس في تعاليمه على الكيفية التي بها على الجميع أن يتحدوا بالرأس (المسيح) فوق كل شيء وأن يتعاونوا فيما بينهم من أجل بنيان جسد المسيح ويدعو هذا التعاون: شركة ومشاركة واندماجاً μεθεξις, μετοχη, κοινωνια.

٣ - نمو الكنيسة كجسد واحد:

وحياة الكنيسة من جهة اجتيازها الزمن والعالم، هي تماماً مثل حياة الفرد. فهي تجوز في عبورها ارتقاءً متوالياً بل وأيضاً نمواً αυξησις وازدياداً سواء من جهة الانتشار أو من جهة العمق.

٤ - اكتمال الوحدة:

أمَّا الهدف الذي تتجه نحوه الكنيسة وأعضاؤها، فهي الحياة الأبدية والاكتمال في الوحدة، حيث تبلغ النهاية عندما يمجد الابن الآب بأن يخضع هو نفسه للذي أخضع له الكل ليكون الله هو الكل في الكل (١كو ١٥: ٢٤و٢٨).

[لا تتحقّق عودتنا إلى الله وهي التي تتم عـن طريـق المسـيح، مخلصنـا، إلاَّ بشـركة الـروح القـدس وتقديسـه.

إن الـروح القــدس هـو الــذي يرفعنـا ويوحِّدنـا أيضـاً بـا لله الآب. وهكـذا فعندمـا نقتنيـه ونـأخذه فينـا، نصبـح بذلـك شـركاء ومشـتركين في الطبيعـة الإلهيـة. غـير أننـا نـأخذه عـن طريـق الابـن، وفي الابـن نــأخذ الآب][١٠٣].

[إن الروح القـدس هـو الصـورة لجوهـر الابـن، وذلـك كمـا كتـب القديـس بولـس الرسـول قـائلاً: «لأن الذيـن سـبق فعرفهـم، سـبق فعيَّنهـم، ليكونـوا مشـابهين صـورة ابنـه» (رو ٨: ٢٩). فهـو يجعـل إذاً هـؤلاء الذيـن يحـل فيهـم مشـابهين لصـورة الآب، كونهـم مشـابهين للابـن. وهكـذا تُستعاد كـل الأشـياء بواسـطة الابـن إلى ذاك الـذي هـو منـه، أي إلى الآب بـالروح القـدس][١٠٤].

«كلمـة الله صـار جسـداً وسـكن فينـا»:

بدء قيـام الكنيسـة:

القديـس كـيرلس ينتقـل بسـهولة مـن عقيـدة المسـيح بصفتـه كلمـة الله Λογος السـاكن بيننـا إلى عقيـدة قيـام جسـده الـذي هـو الكنيسـة، حيـث تنبـع بـالذات وحـدة الكنيسـة بصفتهـا جسـد المسـيح مـن انسـكاب روح المسـيح في الكنيسـة. فقـد أعطـى الـرب بعـد قيامتـه الـروح القـدس للرسـل عندمـا نفخـه عليهـم، ثـم بعـد ذلـك وَهَبَـه للمؤمنـين عـن طريقهـم. ومنـذ ذلـك الحـين أصبـح الجميـع في هـذا المـلء الجديـد مُشـاركين للطبيعـة الإلهيـة[١٠٥].

والشـرح الـذي يقدِّمـه القديـس كـيرلس علـى مـا سـجله القديـس يوحنـا

في الأصحاح الأول من إنجيله «وســـكن فينـــــا» (يو ١:١٤ وهـذه هي الترجمـة الدقيقـة)، يكشـف عـــن فكــر القديـس كـيرلس بخصــوص عطيــة النعمـة العجيبــة الــتي أُعطيــت بالمسـيح للجنـس البشـري بأسـره. يقــول القديـس كـيرلس:

[«**لقـد سـكن فينـا»: هـذا هـو السـر العميـق. لقــد كنــا جميعـاً في الواقـع في المسـيح (بالتجسُّـد)، وهكــذا تقبَّلــت الإنســانية العامــة في جملتهـا في المسـيح – أي بجسـده – تجديـداً وإصلاحـاً.**

لقـد سـكن «الكلمـة» في الجميـع بواسـطة الواحــد (يســوع). هــذا الواحــد (يســوع) الــذي اســتُعلن (لنــا بالقيامــة) ابنــاً لله بـالقوة بحســب روح القداســة، فـانتقلت هــذه الكرامـة منـه إلى الجنس البشـري بأسـره. حتى إنـه بسـبب الواحـد منّـا (يســوع المسـيح)، أدركتنـا نحـن أيضـاً الكلمـة القائلــة: «أنــا قلــت إنكــم آلهـة، وأبنـاء العلـي كلكـم» (مــز ٨٢:٦)][١٠٦].

كيفية إعطـاء الكنيسـة مميزات جسـد المسـيح:

وفي مواضـع أخـرى يحـدد القديـس كـيرلس بإيضــاح هــذه الشــركة في الطبيعـة الإلهيـة والأدوار الـتي أكملهـا المسيح مـع الـروح القـدس، مـن أجـل بلوغ ذلـك، في الجسـد السـري الـذي هـو الكنيسـة.

فـالروح القـــدس هـــو الـــذي يضطلـــع بتغيـــير النفـــوس، ويجعلهـــا علـــى صـورة الله، وذلـك حينمـــا يعطينـــا ذاتـــه ليُشــرِكَنا فيـــه بالطبيعـــة الإلهيـــة. وهكذا تصبـح هـذه النفـوس مشـابهة للابـن بالنعمـة، وبكـل الحـق، بواسـطة شركة الــروح القــدس.

ولكـن هـذا يكـون اعتمـاداً علـى مـا تمَّ مُسْبقاً مـن جهـة الطبيعـة الإلهيـة

التي تجسَّدت من أجل ذلك وبدافع المحبة. لأنه إن كان قد أصبح ممكناً أن الإنسان يصير شريكاً في الطبيعة الإلهية، فما ذلك إلاَّ لأن Θεος (الله) صار ανθρωπος (إنساناً) فصار شريكاً في طبيعتنا في كل شيء!

فإذا كنّا قد نلنا شركتنا في الطبيعة الإلهية بواسطة الروح القدس، فما ذلك إلاَّ لأن الروح القدس هو روح المسيح. فالروح القدس يسكن «أساساً» في المسيح «الرأس»، وبالتالي يسكن في أعضاء المسيح. والروح القدس يسكن في أعضاء المسيح بسبب استحقاق المسيح الدائم، والروح القدس يسكن في كل عضو وفقاً للقدر الذي يحدده المسيح الرأس.

التجسُّد هو السر الذي قامت على أساسه الكنيسة، ودخلت منه كأعضاء حيَّة متحدة بالرأس:

يعتبر القديس كيرلس أن **كل عضو من أعضاء الإنسانية الجديدة يتمتع بموجب مولده بعلاقة طبيعية مع رئيس الجنس، وبنصيب في ميراث الرأس الجديد**(١٠٧).

وهذه العلاقة الطبيعية العامة تُعتبر أساساً لعلاقة أخرى أرقى، خاصة وروحية، بها يستمد العضو الحياة الأبدية مجاناً من الرأس.

ويُعبِّر القديس كيرلس عن طبيعة هذه العلاقة بأنها تتم على مستوى «سري» μυστικως(١٠٨).

ولأن المسيح بحق تجسده هو أصل هذه البشرية الجديدة ورأسها، لذلك صار جسده الإلهي سواء قبل تمجيده أو بعده هو الوسيلة الفعَّالة

التي من خلالها تتدفق نحونا جميع الخيرات(١٠٩).

فقبل تمجيده كان الجسد الإلهي هو الوسيلة التي تتم بها المعجزات(١١٠)، وبعد تمجيده صار الجسد الإلهي – وعلى الأخص في الإفخارستيا – هو الوسيلة التي بها تتوزع النعمة على جميع الأعضاء(١١١).

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن الاتحاد الذي تم بين الكلمة Λογος والطبيعة البشرية ليتم التجسُّد كان في نظر القديس كيرلس اتحاداً من أوثق ما يمكن، أي لم يكن مجرد عملية سُكنى ενοικησις للاهوت في إنسان ما، كما يحدث عند الأنبياء والقديسين، ولا كان هو مجرد اتحاد نسبي ενωσις σκετικη أو ارتباط συναφεια بل كان اتحاداً طبيعياً، أقنومياً، حقيقياً ενωσις φυσικη, καθ υποστασιν, αληθης(١١٢). من هنا أصبحت بشرية المسيح هي الأداة الحية لكلمة الله بصفة فعَّالة ودائمة(١١٣).

وبالتجسُّد الخلاصي صار رئيس البشرية الجديدة، آدم الثاني، الوسيط الوحيد بين الله والناس، مصدر كل قداسة وكل حياة فائقة الطبيعة(١١٤)، كما أصبح في إمكانه بهذا التجسُّد أن يجمع في ذاته جميع الأعضاء، لأنهم فيه كأعضاء في جسد أو كحجارة حية في هيكل روحي، حيث احتوى المسيح في نفسه الكنيسة والبشرية كجسد له:

[نظراً لأن «الكلمة» أخذ الجسد البشري، لذلك أصبح فينا، إلاَّ أن الآب فيه ... فكأنه يقول: بما أني فيهم بسبب أني أخذت نفس الجسد الذي لهم، وأنت أيها الآب فيَّ بسبب أن لي نفس الجوهر الذي لك، لذلك أريد أن يتَّحدوا هم أيضاً بعضهم ببعض في وحدة

معيَّنة، حتى يكونوا جميعاً كجسد واحد فيَّ، فأحملهم جميعاً في هيكل جسدي الوحيد المأخوذ منهم](١١٥).

ولكن [أن نكون جميعاً فيه كأننا جسد واحد، وأن نكون محمولين في هيكل جسده الوحيد]، فبأية كيفية يجب أن نفهم احتواء البشرية هذا في المسيح؟

إن القديس كيرلس يقدِّم هنا بطريقة فورية الوحدة التي لا يُنطَق بها، القائمة بين الرأس والأعضاء، بين الكرمة والأغصان، بين الكلمة المتجسِّد وبين البشر الذين هم إخوته، بحسب الجسد وبالنعمة.

عندما أخذ «كلمة الله» جسدنا،
صار كل ما يملكه مِلْكاً لنا:

عندما يتكلَّم القديس كيرلس عن وحدة الرأس (المسيح) والأعضاء (الكنيسة) في الجسد السري، فهو يجعل كل شيء يدور حول فكرة التجسُّد الإلهي الذي ننال ثماره بالإفخارستيا. لقد أخذ كلمة الله جسدنا لكي نكون فيه. وبميلاده أصبح الكلمة واحداً معنا في جوهر بشريتنا. وبالواحد (المسيح) سكن الكلمة في الجميع(١١٦). احتوانا جميعاً فيه بالجسد الذي اتحد به، ونظراً لأنه احتوانا جميعاً فيه، من حيث أنه أخذ طبيعتنا البشرية، لذلك «**فجسده يُدعى أيضاً جسدنا**»(١١٧). ولذلك تُدعى أسرار المسيح أسرارنا نحن أيضاً. لذلك فإن صلواته وأعماله وآلامه لها معناها بالنسبة للبشرية بأسرها(١١٨). وبالحق أصبح كل ما له من غِنَى هو لنا، علينا أن نحصل عليه ونقتنيه، وأن نُدخِله بوعي وبحرية في حياتنا الشخصية، وذلك على الخصوص بقبول الأولوجية المقدسة (الإفخارستيا) التي تُعتبر بحق ثمرة تجسده

داخلنا.

وإن كان القديس كيرلس ينتقل دائماً من المستوى اللاهوتي إلى المستوى الخُلُقي السلوكي، سواء كان الأمر يتعلَّق بالمسيح أم بالمسيحيين، لكنه لا يشرح لنا دائماً بإيضاح كيف يجب أن يكون هناك استيعاب أدبي وخُلُقي للحقيقة اللاهوتية الفائقة الطبيعة بالاتحاد بالمسيح.

وبتجميع عقيدته عن المسيح والخلاص وبمحاولة التنسيق بين مختلف عناصرها، يمكن تلخيصها فيما يأتي: إن بشرية المسيح غير ناقصة: إن لها نفساً عاقلة، إنها تشبه طبيعتنا في كل شيء[١١٩]، وإنه لإنقاذ طبيعتنا أخذها الكلمة بجملتها[١٢٠]. وتؤكد نصوص كثيرة من شرحه على إنجيل يوحنا ومن كتاباته «ضد نسطور»، أن الكلمة عندما صار إنساناً اتحد بالبشر جميعهم وجعلهم منتسبين له بموجب شركة الطبيعة. فقد احتوانا جميعاً فيه بسبب الجسد الذي أخذه، وإن البشرية بأسرها تنال الروح القدس لَمَّا حل على المسيح في الأُردن لأنه منذ أن صار إنساناً أصبح يملك في ذاته كل طبيعتنا[١٢١]. فقد تم بمجرد فعل التجسُّد احتواء للبشرية جمعاء في المسيح.

المسيح ينبوع حياة للبشرية جمعاء:

هذا بالإضافة إلى مبدأ لاهوتي خلاصي هام وخطير يُركِّز عليه القديس كيرلس وهو: بما أن بشرية المسيح قد اقتناها الكلمة الحي والمحيي، فقد صارت هذه البشرية المتحدة باللاهوت مصدراً لإحياء وتقديس الجنس البشري كله «صار لنا من الله برًّا وقداسة وفداءً.» (١ كو ١: ٣٠)

فبواسطتها يشع فينا الكلمة المحيي أمجاده. إن بشريته المتحدة باللاهوت تحوي في ذاتها ينابيع الخلاص للجميع. ويلخِّص العالِم Mersch فكر القديس كيرلس بهذا الخصوص في العبارة التالية:

[المسيح هو الحياة، هو ملء الحياة بصفة مطلقة، لدرجة أنه يحوي في ذاته ينبوع حياة للبشرية بأسرها، وبالتالي له سلطان على كل نفس أن يُحييها](١٢٢).

لأنه بما أن هذا الجسد هو جسد إلهي، وأن بشرية المسيح هي بشرية الكلمة الإلهي، فلابد أن تكون الخطية مغلوبة بواسطتها، والنعمة منقولة ومعطاة، والطبيعة كلها قد أُنقذت من الفساد، ونكون جميعاً واحداً بالنعمة مع الابن المتجسِّد. فحياة الكرمة لابد أن تنتقل إلى جميع الأغصان، كما تنتقل حياة الرأس أيضاً إلى جميع الأعضاء(١٢٣).

وهكذا ينال المسيحيون التبني والاتحاد بالله بحق احتوائهم في المسيح الذي يتحقق بصفة ممتازة بقبول سر الأولوجية المقدسة (الإفخارستيا).

وهكذا يعدِّد القديس كيرلس الألفاظ «الاتحاد با لله»، «التبني»، «الاحتواء في جسد المسيح»، ليعبِّر عن عطايا الله ثم يبرز بإصرار أيضاً تجاوب الإنسان مع هذه العطايا.

ويستخلص القديس كيرلس من هذه المبادىء التطبيقات العملية لرعاياه ويُضَمِّنها في خطاباته ومواعظه بل وأحياناً أيضاً في كتبه العقائدية: إن المسيحي يتحد بالمسيح بالإيمان والمعمودية، وبالمحبة والإفخارستيا. والرب يسوع هو المثل الأعلى للمسيحي؛ إنه النموذج لسلوكه؛ فالحياة التي عاشها على الأرض كلمة الله المتجسِّد كمثال لنا

توضّح تعاليمه وتسهّل حياة الفضيلة. إنها تعلّمنا كيف نعزف بأنفسنا عن الأمجاد الأرضية في هذه الدنيا، كما تعلّمنا إنكار الذات وضبط أهواء النفس وشهواتها المغرورة، وتعلّمنا أيضاً التقشّف والصبر واللطف والبذل في الخدمة، وفوق كل شيء الطاعة والإخلاء والمحبة.

لأنه عندما يستلم الجميع من المسيح كيفية حمل الصليب والموت عن الخطية، والزهد بحرارة الحب الإلهي، ويشتركون معه في ذبيحة نفسه، يتحد الأعضاء إرادياً ويزداد التصاقهم بالرأس ولا يعيشون فيما بعد لأجل أنفسهم بل معه ومنه وله وفيه(١٢٤).

وفي سبيل ذلك لابد أن يتم من جانبنا إنكار لحياتنا الطبيعية الحيوانية «ونكون كمن يتنكّر لحياته الخاصة»، وهذا هو الشرط اللازم لكي نتهيأ لاستيعاب الحياة الإلهية.

وأجمل الصفحات التي كتبها القديس كيرلس عن الكمال المسيحي موجودة في كتابه «عن السجود بالروح والحق»، وإني أنقل للقارىء هنا فقرة من شرحه على إنجيل القديس يوحنا حيث أنه في نفس النص الذي يتكلّم فيه عن الاتحاد الإفخارستي والوحدة الروحية يبرز أيضاً النتائج الأخلاقية التي تنعكس علينا وهي نبذ الحياة الحيوانية المحضة، والخضوع لناموس الروح، وإنكار حياتنا الخاصة لكي يعيش الله فينا:

[كما أن قوة δυναμις الجسد المقدس تجعل الذين يحل فيهم، شركاءَ في الجسد συσσωμους؛ هكذا أعتقد أن روح الله الواحد الذي لا ينقسم حينما يسكن فينا جميعاً يقودنا حتماً إلى الوحدة الروحية ... لأنه حينما يسكن فينا ذلك الروح الواحد، فإن الله الآب الذي هو آب واحد للكل يكون أيضاً

فينا ليجمعنا جميعاً معاً بواسطة الابن في وحدة بعضنا مع بعض ومعه أيضاً.

وهناك اعتبار آخر أيضاً يبيِّن أننا بالمشاركة في الروح القدس نصير متحدين بعضنا ببعض: لأنه إذا كنا قد تركنا سلوكنا الذاتي النفساني وتقبلنا نواميس الروح القدس، ألا يكون واضحاً للجميع أننا برفضنا حياتنا الخاصة وباكتسابنا شكل الروح القدس الملتحم بنا، الذي يفوق هذا العالم، نكون بنوعٍ ما قد تغيَّرنا إلى طبيعة أخرى، فلا نكون بعد مجرد بشر بل نُدعى أبناءً لله وبشراً سماويين بسبب مشاركتنا للطبيعة الإلهية؟

وهكذا نكون جميعاً واحداً في الآب والابن والروح القدس، أقول واحداً بأسلوب حياتنا الواحد، بطباعنا الواحدة التي بحسب التقوى، بشركة جسد المسيح المقدَّس وبشركة الروح القدس الواحد](١٢٥).

كيف يشبِّه القديس كيرلس الكبير هذا الاتحاد، والتغييرات التي تتم بواسطته:

إن ما يبدو لنا في كتابات القديس كيرلس الكبير واضحاً جداً، هو الجهد الذي يقوم به لكي يصف تحوُّل النفس العجيب حينما تنال في صميم كيانها مُشارَكة الطبيعة الإلهية؛ ويأتي هذا الوصف بالمقارنات والصور المأخوذة من الحياة اليومية:

[حينما يلتحم بنا الروح القدس نتغيَّر بنوع ما إلى طبيعة أخرى ... فيجب أن نُدعى أبناءً لله وبشراً سماويين بسبب

مشاركتنا للطبيعة الإلهية].

ويتمتع المسيحي، العضو في جسد المسيح – بحياة جديدة ناتجة عن عمل الروح القدس الذي ينسكب في النفس التي تجدَّدت بالفداء والمعمودية. فبالمعمودية بعد استيعاب التعاليم المعطاة للموعوظين، يجب أن يموت الإنسان العتيق ويجب أن تتم السيطرة على أهواء النفس.

أمَّا السلوك بروح التبني تجاه الله فهو ينبع بالأساس من عملية تبني حقيقية تمت بواسطة النعمة. ويحلو للقديس كيرلس أن يصف عملية التبني هذه، تبني الإنسان من قبل الله التي يعود الفضل فيها لتجسُّد الكلمة ولفعل الروح القدس(١٢٦).

إنه يوضح أن هذا التبني يتم بفعل الروح القدس. إنه ميلاد جديد، تجديد روحي، شركة في الطبيعة الإلهية. ويتضمن هذا التبني شيئاً حقيقياً، واقعياً ومستمراً. إنه يرفع الإنسان ليكون على مستوى الشركة مع الله:

[فإذا كنَّا ونحن عبيد بطبيعتنا، صرنا أولاداً لله وشركاءَ في طبيعته بالنعمة، فإنه يتحتم أن كلمة الله، الذي به صرنا أولاد الله، يجب أن يكون هو ابن الله بالطبيعة، بالحق والتمام. لأنه إذا كان هو ابناً بالنعمة مثلنا – ما استطاع قط أن يعطينا مثل هذه النعمة – أي التبني – لأنه يستحيل على مخلوق ما أن يُعطي لآخرين ما ليس فيه بذاته، بل ما يأخذه هو من الله](١٢٧).

ولكي يشرح القديس كيرلس فعل الروح القدس، والحصول على

هـذه البنوَّة الجديـدة لله بـالتبني، وقبـول هـذه المشـاركة في جسـد المسـيح، وتحـوُّل النفـس إلى طبيعـة جديـدة، يقـوم القديـس كـيرلس بتوضيــح العمــل الإلهـي داخـل الإنسـان بعـدة مقارنـات، فمثـلاً يقارنـه بـالختم الــذي ينطبـع على الشمع، وبالنـار الـتي تجعـل الحديــد يتوهــج، وبالشــمس الــتي تجعــل الأشياء تستضيء حينما ترسل أشعتها الضوئية عليها. كما يقارن أيضاً وجـود الـروح القـدس الـذي يُغيِّر النفـس الــتي يسـكنها، بعمــل النحَّــات الذي ينحت المرمـر وبعمـل الرسَّام الـذي يرسـم علـى اللوحـة.

وهـذه بعـض المقتطفـات مـن الصفحـات الرائعـة الـتي يصـف بهـا هـذه اللمسة الإلهيـة:

[لا يتم الاتحـاد بـا لله إلاَّ بمشـاركة الـروح القـدس الـذي يبـثّ فينـا القداسـة الـتي هـي امتيـازه الخـاص ... فهـو يعيـد تشـكيل النفـوس البشـرية إلى مـا هـو عليـه، ويطبـع فيهـا الشـكل الإلهـي، وينقـش فيها صورة ذلـك الجوهـر الـذي يفـوق كـل جوهـر آخـر](١٢٨).

[وإذا كنَّـا بمجـرد أن نُختـم بـالروح القـدس كمـا مــن خَتْـمٍ عجيـب، نتشـكَّل علـى صـورة الله، فكيــف يكــون (الــروح القـدس) مخلوقـاً، وهـو الـذي يرسـم فينـا صـورة الطبيعـة الإلهيـة، فتظل مطبوعـة فينـا ملامـح الطبيعـة غير المخلوقـة؟

الـروح القـدس، إذاً، هـو إلـهٌ حـقٌّ منبثـق مـن الله، وهـو يطبـع نفسـه بطريقـة غير مرئيـة في قلـوب هـؤلاء الذيــن يقبلونــه، كمـا تنطبـع صـورة الختـم علـى الشـمع. وإذ يعطـي شَـبَهَه لطبيعتنـا، فهـو يرسـم فيهـا مـن جديـد بهـاء الأصـل الإلهـي ويُعيـد الإنسـان علـى صــورة الله](١٢٩).

[ويتشكَّل المسيح فينا بموجب صورة إلهية يبثهـا فينـا الـروح القـدس بـالتقديس وبالـبر](١٣٠).

[يسوع المسيح واحـد هـو. ومـع ذلـك فهـو يُشبَّه (في سفر اللاويين ٢٣: ١٠-١٢) بحزمـة سيقان متعـددة. وهـو كذلـك، لأنـه يضـم ويجمـع في ذاتـه جميـع المؤمنين باتحـاد روحـي. وإلاَّ فكيف كـان يمكن للقديس بولس أن يكتـب قـائلاً: «وأقامنـا معه وأجلسنا معـه في السـماويات» (أف٢: ٦)؟ فمنـذ أن جعـل نفسـه مثلنا، أصبحنـا مشاركين إياه في الجسـد واغتنينـا بالاتحـاد بـه بحسب الجسـد (أف٣: ٦). ولذلك نقـول إننا جميعاً فيـه. بـل هـو نفسـه أيضاً قـال لله أبيـه الـذي في السـموات: «كمـا أنـي واحـد معك، أريـد أن يكونـوا هـم أيضـاً فينـا» (يـو ١٧: ٢١)، «لأن مـن التصق بالرب فهـو روح واحـد.» (١كـو ٦: ١٧)

إذاً، فالمسيح مثـل حُزمـة، لأنـه يضمُّنـا جميعاً فيـه ولأنـه ينفـرش علـى الجميـع، ولأنـه بـاكورة الإنسـانية المكمَّلـة في الإيمـان والمُعيَّنـة للكنـوز السـماوية ... ولذلـك عندمـا عـاد الـرب إلى الحيـاة وصعـد وقدَّم نفسـه لله أبيـه كبـاكورة البشـرية، بحسـب طقـس تقديـم الحزمـة الجديـدة، حينئـذ تحولنـا بكـل تـأكيد إلى حيـاة جديـدة](١٣١).

الاتحـاد الطبيعي، والاتحـاد الأخلاقـي:

وفي نهاية عرضنا هـذا، نقـدِّم نصـاً للقديس كـيرلس يميز فيه جيداً بـين عطيـة الله للإنسـان للاتحـاد بـه علـى مسـتوى حلـول اللاهـوت فيـه طبيعيـاً، وبـين مجـرد الارتبـاط بـا لله علـى المسـتوى الأخلاقـي الإرادي:

[من الخطأ أن نقول إن اتحادنا بالله لا يتجاوز مستوى توافق الإرادة معه، لأنه فوق هذا الاتحاد (اتحاد الإرادة) هناك اتحاد آخر أكثر سمواً وأكثر رفعة يتم بعطية اللاهوت للإنسان، فمع أن الإنسان يحتفظ بطبيعته الخاصة، إلاَّ أنه يتحول بنوع ما إلى شكل الله نفسه كما أن الحديد حينما يوضع في النار يكتسب كل خاصية النار مع بقائه حديداً، وهو يبدو كما لو كان أصبح ناراً. هذه هي طريقة الاتحاد بالله، التي يطلبها ربنا من أجل تلاميذه وذلك بحلول اللاهوت فيهم والشركة معه](١٣٢).



الحواشي

(١) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٠-٢١ - الكتاب ١١:١١ = P.G.74,557 وبهذين الحرفين P.G. نشير إلى «الباترولوجيا جريكا» التي نشرها «ميني» Migne (ويخص القديس كيرلس الكبير منها الأجزاء من رقم ٦٨ إلى ٧٧).

(٢) تفسير رسالة القديس بطرس الرسول الأولى ٢:٦و٧ = P.G. 74,1013.

(٣) عن «كتاب العبادة بالروح والحق» ٢ = P.G. 68,237.

(٤) قانون مجمع القسطنطينية الذي سيُستخدم بعد مجمع نيقية يُبرز قداسة الكنيسة: [نؤمن بكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية].

(٥) مجموعة فاتيكانا رقم ٦ -.A.C.O أعمال المجامع الجزء الأول صفحة ٣٤ = .P.G.77,203

(٦) Coll. Atheniensis رقم ٧٦. أعمال المجامع ACO ١:١:٧ صفحة ٩٧ من سطر ١٥ إلى ٢٤.

(٧) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١ = P.G.74,557-560.

(٨) عن الثالوث الإلهي - الحوار الثالث P.G.75,793.

(٩) تفسير إنجيل يوحنا ١٠:٣٤ P.G. 74,29

(١٠) ضد نسطوريوس - الكتاب الخامس - الفصل السادس P.G. 76,240.

(١١) بشأن الوحدة والتمايز والتطابق والتباين، انظر: تفسير إنجيل يوحنا ١٤:١١، ١٧:٦-٨. والكتاب عن الثالوث: P.G.74,216,500; 75,669,676,697,712,869,1053,1092

(١٢) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٦-٨ = P.G. 74,500.

(١٣) الثالوث ١و٧ = P.G. 75,676,1092.

(١٤) الرسالة ٥٥ =

P.G. 77,177,316; 75,585,600,608,1009,1093, 1117, 1120.

(١٥) P.G.68, 149, 244; 73, 205.

- والنصوص عن «الصورة الإلهية» كثيرة. راجع على الخصوص:

تفسير إنجيل يوحنا ١٤:٢٠ = P.G.74,277

والرسالة إلى كالوسيريوس P.G.76,1068-1072

والتأملات في سفر التكوين (جلافير) P.G.69,20

(١٦) P.G. 74,273

(١٧) P.G. 75,292,296; 69,28

(١٨) P.G. 76,925; 72,908

(١٩) P.G. 70,937

(٢٠) P.G. 69,156; 74,789,817; 75,1352; 76,1292

(٢١) P.G. 76,21,1292

(٢٢) P.G. 74,925

(٢٣) P.G. 76,1292

(٢٤) P.G. 74, 585; 76, 1057

(٢٥) P.G. 74, 160, 268A-218

(٢٦) P.G. 68, 617

(٢٧) P.G. 73, 1045

(٢٨) P.G. 73, 773sq, 1029sq.

(٢٩) P.G. 70, 968

(٣٠) P.G. 71, 405; 74, 948

(٣١) P.G. 70, 1336

(٣٢) بشأن التمييز بين بنوة آدم لله وبنوتنا نحن لله في العهد الجديد، راجع:

تفسير إنجيل يوحنا ١١:٤٩ = P.G. 74,69B

تفسير سفر إشعياء ٤٣:٥-٦ = P.G.70, 888D, 889

(٣٣) عن «الإيمان الأرثوذكسي، إلى ثيئوذوسيوس» ٣٠ = P.G.76, 1177

وبشأن أخوّتنا مع المسيح راجع:

تفسير إنجيل لوقا ٢:٧ = P.G.72, 485, 488

ولو٢:١٧ = P.G.72, 485 ولو٦:٤= P.G.72, 581 ولو١١:٢ = P.G.72,688

وتفسير إنجيل يوحنا ١٠:١٤ = P.G.73, 1048

وضد نسطوريوس كتاب ٣ = P.G.76, 124, 125

وتأملات في سفر التكوين ٥ = P.G.69, 229

وتفسير سفر الخروج ٢ = P.G.69, 436

وتفسير مزمور ٢٣:٢١ = P.G. 69,840

وتفسير أعمال الرسل ٣٣:١٣ = P.G.74, 769

وتفسير سفر إشعياء ١٨:٨ = P.G.70, 240

وعن «الإيمان الأرثوذكسي إلى الملكات» P.G.76, 1304, 1305

(٣٤) تفسير هوشع = P.G.71, 28B, 32C, 33A

(٣٥) تفسير إنجيل يوحنا ٢٩:٣ = P.G.73,264 – وأمَّا القديسون أمبروسيوس وباسيليوس وهيلاري فإنهم يعتبرون أن الأمة اليهودية هي العروس، وأنه عند موت زوجها الأول – أي عند انتهاء العهد القديم – صارت لآخر الذي هو المسيح.

وبشأن المعمودية كمبدأ للوحدة راجع P.G.71, 145, 804

(٣٦) P.G. 69,231-233 وقد أقام نفس هذه المقارنة بين راحيل والكنيسة قبل القديس كيرلس كلٌ من القديسين يوستينوس في حواره مع تريفو ٣:١٣٣، وإيرينيئوس في كتابه ضد الهرطقات ٣:٢١:٤ = P.G.7, 1045-1046

(٣٧) جلافير ٢:٤ = ,P.G.69, 184 – راجع أيضاً الرسالة إلى برنابا ٣:١٣.

(٣٨) تفسير النشيد ١:١٤و ١٥:٥ و٤:٧ = P.G.69, 1282, 1290sq.

(٣٩) تفسير إشعياء ١:٥٤–٣، ١٣:٦٠و١٤، ١٩:٦٣ =

P.G.70, 1195, 1337; 71, 92, 120.

(٤٠) جلافير على سفر التكوين ٤:٥و٥ = P.G.69,246,249

(٤١) جلافير على سفر التكوين ١ = P.G.69,29

(٤٢) تفسير النشيد ١١:٣ = P.G.69,1288

(٤٣) P.G.74,332-400; P.G.73,1044- 1048

(٤٤) P.G.74,332,341

(٤٥) من الواضح أن كتابات يوحنا الرسول كان لها أثر بالغ على القديس كيرلس. وهو يستعير من إنجيل يوحنا مقارنات أخرى خاصة بالكنيسة بخلاف الكرمة والحظيرة مثل مقارنة الهيكل والمسكن (العبادة بالروح والحق ٩و١٠ = P.G.68, 588-725 – تفسير إنجيل يوحنا ٤ = P.G.73, 528-704).

وتفاسير القديس كيرلس للرسائل إلى رومية وكورنثوس والعبرانيين تثبت أن فكر بولس الرسول كان أيضاً مألوفاً لدى القديس كيرلس (تفسير رومية P.G.74, 773-756 – تفسير كورنثوس P.G.74, 856-952 – تفسير العبرانيين P.G.74, 953-1005).

(٤٦) تفسير إنجيل يوحنا ١٥:١٦ = P.G.74,389-392

(٤٧) تفسير إنجيل يوحنا ١٥:١١-١٣ = P.G.74,381

(٤٨) راجع تفسير إنجيل متى ١٦ وتفسير إنجيل يوحنا ٢١:١٥-١٨.

(٤٩) كيرلس الأورشليمي في تعليمه للموعوظين (Catéchéses) ١:٤، ٢٠:٧ =
P.G. 33, 373, 1084.

(٥٠) P.G. 71,120,895 sq.

(٥١) P.G.75, 865

(٥٢) P.G.72, 424

(٥٣) P.G.70, 344, 940

(٥٤) P.G.70, 1368

(٥٥) تفسير إنجيل يوحنا ١٥:١ = P.G.74, 333-347

(٥٦) P.G. 68, 268,272, 273, 752; P.G. 71, 65, 321; P.G. 72, 401,445;
P.G. 73, 153, 205; P.G. 74, 264, 572; P.G. 75, 1088; P.G. 76, 1384;
P.G. 77, 617.

(٥٧) P.G. 77,617

(٥٨) P.G. 75,1089

(٥٩) P.G. 69,552; P.G. 73,169; P.G. 75,1388 sq.

(٦٠) P.G. 74, 801,1088

(٦١) P.G. 68, 504,853

(٦٢) P.G. 71,145,804

(٦٣) مقالة «لأن المسيح واحد»، P.G. 75,1256;
وأيضاً P.G. 69,552

(٦٤) P.G. 73,1008.

(٦٥) P.G. 70,40,573; P.G. 74,696.

(٦٦) P.G. 70,1040; P.G. 72, 776; P.G. 74,125,524; P.G.76,1201

(٦٧) مقالة «لأن المسيح واحد» P.G. 75,1360

(٦٨) P.G. 68,173; 70,1216; 72,776; 74,524.

(٦٩) جلافير على التكوين ٦:٣ = P.G. 69,296

(٧٠) P.G. 71,209,389; P.G. 69,246,249.

(٧١) P.G. 69,1264.

(٧٢) P.G. 70,244,940,968; P.G. 75,865.

(٧٣) عن العبادة بالروح والحق - ٩و١٠ = P.G. 68,588-725

(٧٤) عن العبادة بالروح والحق ٣و١١ = P.G. 68,298, 774

جلافير على التكوين ٤ = P.G. 69,202

P.G. 70, 40, 573; P.G. 74,696.

تفسير إشعياء ١١:١٢ و٤٤:٢٣ و٤٥:١٣ و٤٩:١٤و١٥ و٥٤:٤و٥و١٦و١٧ و٥٧:١٧-٢١ و٦٠:٤-٧ و٦٢:٤ و٦٦:١-٣ و١٠-١٢

P.G.70,333,940,968,969,1065,1200,1216,1277,1325-1329, 1372, 1433, 1437.

تفسير ميخا ٣٥و٤٨ = P.G.71,689,717

تفسير صفنيا ٤٦ = P.G. 71,1020

تفسير زكريا ٢٧و٣٣و٥٥ = P.G.72, 73-76, 100,141

تفسير إنجيل لوقا ٢:٧ و٢٠:١٧ = P.G.72, 493-496,888

تفسير إنجيل يوحنا ١:١٤و١١:٤٩ و١٣:٣٥ و١٥:١ و١٧:٢٠ و١٩:١٦-١٨ =
P.G.73,164; P.G.74,69, 165-168, 333, 555-558, 653

تفسير رسالة رومية ١٥:٧ = P.G.74,853

تفسير رسالة بطرس الأولى ٢:٦و٧ = P.G.74,1013

(٧٥)تفسير النشيد ٥:١٥ = P.G.69, 1289

(٧٦) كتاب الكنوز ١٢ = P.G.75, 204

(77) - Mahé, (L'Eucharistie d'après Saint Cyrille d'Alexandrie) in "Revue d'histoire ecclésiastique", octobre 1907, p. 677-696.

- Adolf Struckmann, *Die Eucharistielehre des heiligen Cyrill von Alexandrien,* Paderborn, 1910.

(٧٨) P.G.75, 6-9

- ومن المناسب أن نقارن هذا القول بقول مشابه للقديس غريغوريوس النيسي - في العظة التعليمية ٣٧ = P.G.45, 93 وقول آخر ليوحنا فم الذهب في تفسير العبرانيين ١٠ - عظة ١٧:٣ =P.G. 63, 131

(٧٩) عن العبادة بالروح والحق ٩ = P.G. 68,611
تفسير الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٢:٩و١٢ = P.G. 74, 888,88
ضد نسطوريوس ٤:٥ = P.G.76, 194
ولعل من أقوى العبارات التي تفيد هذا المعنى، هذه الواردة في كتاب الجلافير على التكوين:
[لقد صرنا شركاء في **الجسد** معه بواسطة سر الأولوجية (الإفخارستيا) ونقول من جهة أخرى أننا صرنا شركاء في طبيعته الإلهية بواسطة الروح] P.G.69, 29

(٨٠) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١ كتاب ١١:١١ = P.G.74, 557sq.

(٨١) إن الأهمية الكنسية لرسالة أفسس لم تفت على التأمل الثاقب لبطريرك الإسكندرية. فهو يستشهد بشغف مراراً كثيرة بالآية القائلة «أنه هو سلامنا» وبالأعداد ١٤-١٨ التي تليها في الأصحاح الثاني وبمواضع أخرى من نفس الرسالة (أف ٣:٥-٦، ٤:١٤-١٦، ٥:٢٩-٣٢)

(٨٢) عن العبادة بالروح والحق ٩ = P.G.68, 626 وتفسير إنجيل يوحنا P.G.73, 583

(٨٣) يستخدم القديس كيرلس لفظة «الأولوجية» دون سواها للإشارة إلى سر الإفخارستيا. وكثيراً ما يضيف لها صفات تحدد معناها أو تشير إلى مفاعيلها، فيصفها مثلاً بأنها «**مُحيية**» (العبادة ٧، ضد الشرقيين ١١ تفسير إنجيل متى ٢٦:٢٧، تفسير إنجيل لوقا ٢٢:١٩)، أو «**روحية**» (العبادة ٦)، أو «**سرية**» (العبادة ٢، جلافير على التكوين ١، اللاويين، تفسير إنجيل لوقا ٤:٣٨، تفسير حبقوق ٢، تفسير الرسالة إلى رومية ٨:٣، عن الثالوث ١، ضد نسطور ٤:٥، الرسالة الجمعية ٧، تفسير إنجيل يوحنا في مواضع عديدة منه)، أو أنها «**أولوجية المسيح**» (العبادة بالروح والحق ١٢). وكلمة «الأولوجية» واردة مرة بالجمع في الرسالة المجمعية ٧. ويبدو من ذلك أن كلمة «الأولوجية» كانت هي اللفظة الشائعة في الإسكندرية في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس للإشارة إلى سر الإفخارستيا. وهذه التسمية لها أساس كتابي لا يقل في رصانته عن تسمية السر بالإفخارستيا (راجع إشباع الجموع الأول مت ١٤:١٩ ومر ٦:٤١ ولو ٩:١٦ وإشباع الجموع الثاني مر ٨:٧ وتأسيس سر الإفخارستيا حيث يرد فعل «الأولوجية» لتبريك الخبز وفعل الإفخارستيا للخمر. مت ٢٦:٢٦، ومرقس ١٤:٢٢). ويبدو أن استخدام كلمة «الأولوجية» للإشارة إلى السر يرجع أساساً إلى ١ كو ١٠:١٦: «كأس البركة (الأولوجية) التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح».

(٨٤) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:١١-٢٤ = P.G.74, 512 - 571

(٨٥) P.G.74, 656

(٨٦) P.G.72, 452, 912

(٨٧) P.G.72, 297, 905

(٨٨) تفسير إنجيل يوحنا ٦:٥٤ = P.G.73,577

راجع أيضاً تفسير إنجيل يوحنا = P.G.73, 601, 604, 522, 581, 964

ضد نسطور ٤ = P.G.76, 192

عن الإيمان القويم إلى ثيودوسيوس ٣٧ = P.G.76, 1188

الدفاع ضد الشرقيين P.G.76, 373, 376

تفسير إنجيل لوقا ٤ = P.G.72, 522

مقالة «لأن المسيح واحد» P.G.75, 1269

بالإضافة إلى مواضع أخرى عديدة يؤكد فيها القديس كيرلس وحدة ناسوت المسيح مع الكلمة وقدرة جسد المسيح على الإحياء أي على توصيل الحياة الأبدية الجوهرية غير الفاسدة للذين يتصلون به اتصالاً طبيعياً ويغتذون منه. اقرأ على الأخص الحرم الحادي عشر وتعليقات كيرلس عليه.

(٨٩) تفسير إنجيل يوحنا ١٥:١، ١٧:٢١ = P.G. 74,341,560

كيرلس الأورشليمي عظة ٢٢:٣ = P.G. 33,1100

يوحنا فم الذهب، تفسير إنجيل متى عظة ٣٢:٥ = P.G.58,743,744

تفسير رسالة كورنثوس الأولى عظة ٢٤:٢ = P.G.61, 200

وتفسير إنجيل يوحنا عظة ٤٦:٢-٣ = P.G.59,260

(٩٠) تفسير ميخا ٢:٥ = P.G.71, 668B

تفسير إنجيل يوحنا = P.G.73, 481; 74, 564D-565A

(٩١) تفسير إنجيل يوحنا ٦:٥٦، ١٥:١ = P.G.73, 584CD; 74, 341D

(٩٢) P.G.68, 285; 69, 428

(٩٣) P.G.68, 793

(٩٤) تفسير إنجيل يوحنا ٦:٥٤ = P.G.73, 577-578

(٩٥) في الثالوث = P.G.75, 695-697

راجع أيضاً تفسير إنجيل يوحنا ١٧:١١و٢٠و٢١ = P.G.74, 516D - 517A, 560

(٩٦) بشأن المحبة الأخوية والتضحية من أجل القريب راجع على الخصوص:

العبادة بالروح والحق كتاب ٧و٨ = P.G.68, 480-588

تفسير إنجيل يوحنا كتاب ١٠ كله P.G.74, 281-44

وفي مواضع كثيرة يستشهد ويشرح القديس كيرلس الآيات التالية: ١ كو ١٧:١٠، ٢٧:١٢، أف ٣٠:٥.

(٩٧) تفسير إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠و٢١ =	P.G.74, 560
راجع أيضاً ضد نسطور	P.G.76, 125-129
(٩٨) ضد نسطور ٤ =	P.G.76, 193sq.
(٩٩) «العبادة بالروح والحق» ٢:٦ =	P.G.68:237
(٩٥) في الثالوث	P.G.75, 695-697

جلافير على اللاويين – تفسير إنجيل لوقا ١٩:٢٢.

(١٠٠) العبادة بالروح والحق ٣ – على المزامير ٥:٢٢ – ضد نسطور ٣:٤، ٦:٤، ٥:٤ – على إنجيل متى ٢٦:٢٦.

μυστικον δειπνον, μυστικη τραπεζα, θειον μυστηριον
Το θειον ημων μυστηριον, σωτηριωδες μυστηριον

(١٠١) على إنجيل يوحنا =	P.G.73, 161, 1045, 1048, 74, 20; 74, 261
الكنز ١٥	P.G.75,292
(١٠٢) على إنجيل يوحنا	P.G.73:161
(١٠٣) على إنجيل يوحنا ١٧: ١٨و١٩ =	P.G.74,544,545
(١٠٤) على إنجيل يوحنا ١٧: ١٨و١٩ =	P.G.74,541
(١٠٥) على سفر يوئيل ٢٧:٢، كتاب ٣٥:٢ =	P.G.71:377-380
على إنجيل لوقا ٤: ١ و٤: ١٨ =	P.G.72:525,537
عن الإيمان القويم إلى الملكات ٣٤و٣٥و٥٠ =	P.G.76:1381, 1405
(١٠٦) على إنجيل يوحنا ١: ١٤ =	P.G.73:161
جلافير على التكوين ١ =	P.G.69:16
على نبوة صفنيا =	P.G.69:16
جلافير على التكوين ١ =	P.G.71:101f
ضد نسطور ١ =	P.G.76:17
(١٠٧) على إنجيل يوحنا ١٠: ١٠، ١٠: ١٤ =	P.G.73:1032, 1048
(١٠٨) على إنجيل يوحنا ١٠: ٢٦ =	P.G.74:20

وعلى إنجيل يوحنا ١:١٤ =	P.G.73:161
(١٠٩) على إنجيل لوقا ٤:٣٨ =	P.G.72:551
على إشعياء ٦:٧ =	P.G.70:181
على تجسُّد الابن الوحيد	P.G.75:1241
(١١٠) على إنجيل متى =	P.G.72:389,452
وعلى إنجيل لوقا =	P.G.72:549,556
على إنجيل يوحنا =	P.G.74:564
على الإيمان القويم إلى الملكات	P.G.76:1320
(١١١) على إنجيل لوقا =	P.G.72:552
عن الإيمان القويم إلى الملكات	P.G.76:1281
ضد نسطور	P.G.76:189
(١١٢) الرسالة السابعة عشر =	P.G.77:109, 784; 75:332, 401, 405
(١١٣) على تجسُّد الابن الوحيد =	P.G.75:1244
(١١٤)	P.G.68:617; 73:1045,773,1029
(١١٥) الكنز ١٢ =	P.G.75:204
(١١٦) على إنجيل يوحنا ١:١٤ =	P.G.73:161
(١١٧) على إنجيل يوحنا ١٤:٢٠ =	P.G.74:280
(١١٨) الكنز =	P.G.75: 333,384
على سفر الأعمال ٢:٢٨ =	P.G. 74:761
على المزمور ٢:٨ =	P.G.69:721
على رسالة رومية ٦:٦ =	P.G.74:796
(١١٩) الرسالة ٤٤ =	P.G.77:225
(١٢٠) شرحه – على إنجيل يوحنا =	P.G.74: 89
على تجسُّد الابن الوحيد =	P.G.75:1213
(١٢١) على إنجيل يوحنا =	P.G.73: 161, 164, 208, 753
الكنز ١٢ =	P.G.75:204
ضد نسطور ١ =	P.G.76:17

على الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس = P.G.74:936

العظة الفصحية التاسعة:٢ ، والسابعة عشرة:٢ = P.G.77:581,773

(١٢٢) E. Mersch, *Le Corps mystique du Christ*, t. I, éd. 1936, p. 512.

(١٢٣) [**لقد تم احتواء الطبيعة كلها في المسيح**] – الكنز ١٣ = P.G.75:217

الكنز ٢٣ = P.G.75:388

على إنجيل يوحنا P.G.73: 156,157, 184, 208, 568, 753, 756

P.G.74: 20, 85, 89, 432, 473

P.G.77:576, 68:2,73, 208, 1089, 1117

[**الطبيعة كلها ماتت مع المسيح**] – على رسالة رومية P.G.74: 796

على الرسالة الأولى إلى كورنثوس P.G.74:896

على إنجيل يوحنا P.G.73:192

[**الطبيعة كلها قامت مع المسيح**] – على إنجيل يوحنا P.G.74:184, 154, 432, 473, 565

على نبوة زكريا P.G.72:268

(١٢٤) على نبوة حبقوق ٢ ٥ = P.G.71:928,929

– ويوضح التجاوب الحر مع النعمة في المواضع التالية:

P.G.70:1336

P.G. 69:624; 73:1028; 74:948

(١٢٥) على إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١ = P.G.74:557-561

(١٢٦) على إنجيل يوحنا ١:١٢-١٣ = P.G.73:153-156

(١٢٧) على الثالوث – حوار ٨ = P.G.75:1089

(١٢٨) على إنجيل يوحنا ١٧:٢٠و٢١ = P.G.74:553

(١٢٩) الكنز = P.G.75:611

(١٣٠) على إشعياء = P.G.70:936

(١٣١) جلافير على سفر العدد = P.G.69:624,625

(١٣٢) يقارن الروح القدس بالنار التي تطهرجميع الأدناس، أو التي تنقل طاقتها للحديد:
P.G.68:821,1009, 69:1100, 70:41,96, 72:333,389, 75:199,1085, 76:129, 880, 73:589.

وهو يطبِّق مقارنة النار المشتعلة على الإفخارستيا:

تفسير يوحنا ٦:٥٥ = P.G.73:581

ويطبِّقها أيضاً على التجسُّد:

كتاب تجسُّد الابن الوحيد ٩ = P.G.75:380

ومقالة «المسيح واحد» P.G.75:1361

العظة الفصحية السابعة عشرة P.G.77:788

تفسير يوحنا ١:١٣ = P.G.73:160

ضد نسطور ٤:٥ = P.G.76:189

تفسير لوقا P.G.72:909

كما يقارن القديس كيرلس الروح القدس بالمسحة χαρισμα التي تقوي وبالينبوع الحي الذي ينبع إلى حياة أبدية:

P.G. 74:572, 69:1100, 69:640, 73:297, 74:337,433,572

ويقارن الشمس التي تنقل نورها للأشياء مجاناً، بعطية الله الذي «يهبنا بها الله ذاته»:

.P.G.75:1398.

✞


ΙС
ΧС